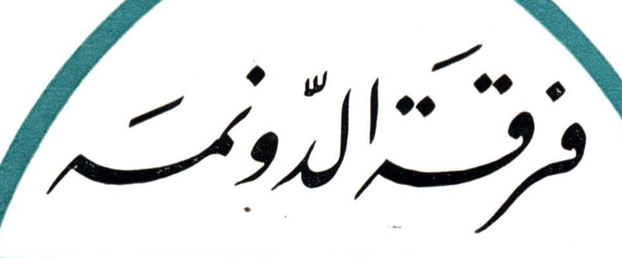


فرقة الدونمة

بين اليهودية والإسلام

الدكتور
جعفر هادي حسن

مؤسسة الفجر
نشر ـ توزيع
بيروت ـ لندن

دِراسات في العقائد والأديان

(١)

فرقة الدونمة

بين

اليهودية والإسلام

الدكتور

جعفر هادي حسن

مؤسسة الفجر

نشر - توزيع

بيروت - لندن



الطبعة الثالثة

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م

بيــروت - لبــنان

مؤسسة الفجر للطباعة والنشر والتوزيع

لبــنان - بيروت - ص . ب : ٦٤٣

حارة حريك - المنشية - شارع دكاش - بناية ابو علي طعام

مقدمة الطبعة الثالثة

هذه هي الطبعة الثالثة لهذا الكتاب وهي لا تختلف كثيراً عن الطبعة الثانية سوى في زيادة بعض الأشياء القليلة عليها دون أن يمس ذلك بصلب الموضوع . وإني لم أبتغِ من ذلك أن يكون الكتاب كاملاً لأن ذلك مطلب يصعب نيله ويتعذر تحقيقه فإنَّ الكمال لله وحده ، ولكني قصدت مما قمت به تحقيقاً للغرض الذي من أجله كتب الكتاب . ويجب أن أذكر هنا بأني قد رجعت إلى المصادر غير العربية في لغاتها الأصلية دون اعتماد على ترجمة . وآمل أن تحقق هذه الطبعة ما قصدته لها ورجوته منها والله ولي التوفيق .

المؤلف
محرم ١٤٠٩ هـ
آب ١٩٨٨ م

مقدمة الطبعة الثانية

كان إقبال القراء الرائع على كتابي هذا حافزاً ومشجعاً لي على إعادة طبعه بعد مرور سنة على صدور طبعته الأولى .

ولقد حرصت على أن تكون هذه الطبعة أكثر فائدة وأعظم نفعاً لما احتوت عليه من تنقيحات وضمته من معلومات لم تكن في طبعته السّابقة .

لذلك آمل أن يكون القارىء أشد إقبالاً عليها وتعلقاً بها ورغبة فيها . وإني إذ أقدم هذا الجهد المتواضع مرة أخرى أرجو أن يكون لي من ملاحظات القرّاء ونقد الباحثين ما يقوّم من معوجّه ويصلح من هَناته ويصحح من أخطائه فإنّ الكمال لله وحده .

المؤلف

صفر ١٤٠٨ هـ

تشرين الأول ١٩٨٧ م

مقدمة الطبعة الأولى

فرقة الدونمه من الفرق الدينية الجديرة بالبحث والدراسة ومما يجعل دراستها ذات أهمية خاصة أنها فرقة باطنية أنشأها قبل أكثر من ثلاثة قرون حاخام يهودي إسمه (شبتاي صبيّ) الذي ادَّعى بأنه المسيح المخلّص ثم تظاهر بالإسلام فيما بعد وتبعه كثير من المؤمنين به على ذلك فأصبحوا يظهرون الإسلام ويبطنون عقيدة غيره . وظلّوا على هذه الحال إلى وقتنا الحاضر . وفي هذا القرن كان لهذه الفرقة دورٌ بارز في تاريخ تركيا الحديث ذكرنا شيئاً عنه في هذا الكتاب .

ومع أنها تعيش في عالمنا الإسلامي إلاَّ أن القلّة من الناس قد سمعوا بها ناهيك عن معرفة معتقداتها وتقاليدها . لذلك رأيت من الضروري تقديم دراسة موجزة عن نشأة هذه الفرقة وتاريخها ومؤسسها تكون فاتحة لدراسات أخرى أوسع وأشمل يقوم بها الباحثون والمختصون في هذا الموضوع . وإني لأرجو أن يخرج

القارىء بعد قراءته لهذا الكتاب بفكرة واضحة عن حقيقة هذه الفرقة والله من وراء القصد .

المؤلف

١٩٨٦ م - ١٤٠٦ هـ

تمهيـد

نشأت فرقة الدونمه أساساً على الإيمان بفكرة المسيح[1] المخلص في اليهودية . وهذه الفكرة تضرب عميقاً في تراث اليهود وأدبياتهم وقد أعطيت لها أهمية بارزة تمثلت في جعلها من أصول اليهودية الثلاثة عشر التي يجب الإيمان بها كما وضعها الفيلسوف اليهـودي (موسى بن ميمون ت ١٢٠٤ م) . وعلى الرغم من أن المسيح المخلّص غير مذكور بشكل صريح في العهد القديم إلّا أن بحث هذه الفكرة والخوض في تفصيلاتها أعطياه أوصافاً معينة عامة فمن هذه الأوصاف أنه يجب أن يكون من نسل النبي داود (ع) ويجب أن تتوفر فيه صفات الملك فهو ملك ونبي في الوقت نفسه بل إنَّه أفضل الأنبياء بعد موسى (ع) ويجب أن يكون قاضياً ومعلماً للتوراة يأتي ببركات كل الأنبياء إلى اليهود ويهزم أعداءهم ويقودهم

---

(١) ليس المقصود بالمسيح هنا عيسى بن مـريم (ع) بل المـراد به مـا يقابـل العبري هامشيح الذي نتحدث عنه أعلاه .

منتصراً إلى فلسطين ليحكم العالم من هناك بالتوراة . ولكن المسيح بن داود يجب أن يأتي قبله مسيح آخر إسمه المسيح بن يوسف (من قبيلة أفرايم)[1] موطئاً وممهداً للأول يخوض حروباً متعدّدة ثم يسقط صريعاً في آخر هذه الحروب على أبواب أورشليم .

وهناك بعض المسائل الأخرى التي تتصل بالمسيح المخلص كولادته في التاسع من آب حسب التقويم العبري وكخروج النبي الياهو[2] مبشّراً بظهوره وغيرها من المسائل الأخرى . وقد برزت خلافات بين مدرستين يهوديتين فيما يتعلق بالتوراة التي تكون أيام المسيح . فمدرسة تذهب إلى أن التوراة الحالية هي نفسها التي تكون آنئذٍ سوى أن المسيح سيكشف عن أسرارها الحقيقية ومدرسة ترى بأن المسيح سيأتي بتوراة جديدة غير هذي التي يعهدها الناس .

وبسبب سيطرة فكرة المسيحانية على تفكير اليهود خاصة بعد تهديم المعبد اليهودي عام (٧٠ م) فقد كانت هناك محاولات لمعرفة العصر أو الفترة أو السنة التي يظهر فيها المسيح المخلص .

---

(١) أي ليس من قبيلة منسّه الإبن الأخر ليوسف بن يعقوب (ع) .

(٢) يعتبر النبي الياهو في المعتقد اليهودي حيّاً لم يمت لأن عاصفة نارية كانت قد صعدت به إلى السماء . وقد جاء عنه في سفر الملوك الثاني ٢/١١ - ١٢ ما نصّه « . . . وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار قد فصلت بينهما فصعد الياهو في العاصفة إلى السماء وكان اليشع ينظر وهو يصرخ يا أبي يا أبي مركبة اسرائيل وفرسانها ولم يره بعد » .

وقد كانت هذه المحاولات تعتمد على تفسير بعض العبارات الواردة في أسفار العهد القديم أو على أعداد معينة فيها كتلك الواردة في سفر دانيال أو على حساب معين مرتبط بحساب الجمل وكان منها ما يعتمد على تأويلات باطنية أو حسابات فلكية .

وقد كان بعض اليهود يتعجلون ظهور المخلص باستعمال طرق اعتقدوا أنها فعّالة ومؤثرة في التبكير بظهوره . فقد حاول البعض منهم أن يستعمل طريق السحر من أجل ذلك وحاول البعض الآخر الإغراق في الذنوب لتعجيل ظهوره طبقاً لما جاء في التلمود « من أن المسيح يظهر إذا كان الناس مذنبين كلهم أو مبرئين من الذنوب تماماً » .

أما البعض الآخر فقد لجأ إلى القبّالة[1] « العملية » .

ففي عام ١٥٥٢ م أراد الحاخام جوزف دل رينا الصفدي وخمسة من تلامذته التعجيل بظهور المخلص عن هذا الطريق فبدأوا بالصيام المستمر والصلوات المتواصلة وقاموا أيضاً بتعذيب أنفسهم من أجل أن يغفر لهم ـ كما يعتقدون ـ وكانوا لا يفتأون يذكرون الإله وأسماءه المقدسة وذهبوا إلى قبر الحاخام سيمون بن يوحاي (عاش في القرن الثاني الميلادي) الذي يعتبر قدّيساً وليّاً عند القباليين وظلّوا عنده

---

(١) علم موضوعه القضايا الصوفية والتأويلات الباطنية المبنية على المعتقدات اليهودية . وقد تطور هذا العلم كثيراً بعد القرن الثاني عشر الميلادي خصوصاً بعد ظهور كتاب الزهر .

يدرسون كتاب الزهر[١] وما تحمل كلماته من معانٍ باطنية ودلالات خفية فهموها منها وظلّوا إلى ما شاء الله أن يظلّوا ولكن المخلص لم يظهر ولم يبن له أثر فيئس الحاخام وتلامذته وكان من نتيجة ذلك ارتداده عن اليهودية[٢] .

أما بعض الحسيديم[٣] فقد قرروا أن يجبروا المخلّص على الظهور بطريقة غريبة وذلك بأن ألزموا أنفسهم وهم أحياء أن يرفضوا صعـود أرواحهم إلى السماء بعـد ممـاتهم ، وصعـود أرواحهم إلى السماء ـ كما يعتقدون ـ هو حق طبيعي لهم لا منّة لأحد فيه عليهم ، وبما أنَّ رفضهم هذا يخلُّ بنظام الكون وهذا الخلل لا يصلحه إلاَّ المسيح المخلّص حينئذٍ لا بدّ له من الظهور[٤] . أما لماذا لم يظهر حتى مع استعمال هذه الطريقة فإنَّ هذه المجموعة أعطت تفسيرات لذلك لسنا معنيين بالحديث عنها هنا .

---

(١) يعتبر كتاب الزُهر من أهم الكتب لدى القباليين ومن أعظمها تأثيراً عليهم . وأهميته وقدسيته تضارع أهمية العهد القديم وقدسيته لديهم . والزهر في الحقيقة ليس كتاباً بالمعنى المعروف حيث لا تتوفر فيه وحدة الموضوع بل هو عبارة عن خليط من الموضوعات المختلفة ضمت إلى بعضها . فهو يضم شروحاً على فقرات من التوراة ، وعظات دينية وقصصاً شعبية وأشياء عن الملائكة والأولياء وكذلك فيه الشيء الكثير من أقوال الحاخام سيمون بن يوحاي وأتباعه والمقربين له . وينسب كتاب الزهر إلى الحاخام موشي دي ليون الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي ولكن هذا ما زال موضع نقاش .

(٢) A.H. Silver, A History of Messianic Speculation in Israel, p.148.

(٣) الحسيديم : جمع حسيد وهي كلمة تعني « التقي والورع في المفهوم اليهودي » وقد ظهرت حركة يهودية بهذا الإسم في أوربا الشرقية في العصر الحديث .

(٤) R.Patai, The Messiah Texts,p.66.

ولما كانت الحسابات والتنبؤات والطرق الأخرى لا ينتج عنها شيء فإنَّ أسباباً ومبرزات كانت تعطى لذلك . فمثلاً كان المعتقد عند اليهود أنَّ المخلّص كان سيظهر في عام ٢٤٠م ولما لم يظهر كان التبرير أنَّ ذنوب الناس منعته من الظهور[١] .

وعندما لم يتحقق ما تنبأ به الحاخام سعاديا الفيومي عن سنة الظهور (وقد كانت ٩٦٨ م) جاء بعده من يعتذر له ويقول بأنَّ سعاديا قال ذلك من أجل أن يقوي من عقيدة اليهود ويرفع من مغنوياتهم[٢] . ولما لم يتحقق ظهور المخلّص عام ١٠٩٦ م كما تنبأوا به بل كانت تلك السنة سنة بلاء صبّه الصليبيون على اليهود قالوا :

بأنَّ ما حدث كان إرهاصات لسنة الظهور[٣] إلى غير ذلك من أسباب ومبررات .

وللسبب نفسه ـ أي سيطرة فكرة المسيحانية على اليهود ـ ادّعى الكثير من اليهود بأنهم المسيح المخلّص وكانت بعض الظروف الخاصة كالإضطرابات العالمية والنكبات التي تصيب اليهود تدفع بهؤلاء إلى هذا الإدّعاء .

وشبتاي صبّي مؤسس فرقة الدونمه كان واحداً من هؤلاء الذين

---

(١) A. H. Silver A Historv of Messianic Speculation in Israel, p.127.

(٢) المصدر نفسه A.H.Silver,p.103.

(٣) المصدر نفسه A.H.Silver, p.60.

ادّعوا ذلك ولكن الفرق بينه وبين الذين سبقوه أو جاؤوا من بعده أنّ حركته كانت من أوسع الحركات وأبعدها تأثيراً وأكثرها استمراراً وبقاءً في تاريخ اليهودية حيث ما زال الآلاف من أتباعه والمؤمنين به موجودين إلى يومنا هذا .

وقبل أن أدخل في الحديث عن شبتاي نفسه أودّ أن أمهّد لذلك بالحديث عن بعض الذين عاشوا قبله وادّعوا نفس ادّعائه .

ففي حدود عام (٤٤م) أدّعى شخص إسمه ثيوداس بأنه نبي وأقنع كثيراً من اليهود بأن يأخذوا أقنعتهم ويتبعوه إلى نهر الأردن حيث يفلقه بأمر منه كما فلق موسى (ع) البحر ولكن الحاكم الروماني فيدس أرسل له جيشاً فاجأه فقتل الكثير من أتباعه وأسر منهم جمع وكان ثيوداس ضمن الأسرى فقطعوا رأسه وحملوه إلى أورشليم .

وفي سنة مقاربة لهذا التأريخ ادّعى يهودي بأنه المسيح وتبعه جمع كبير من اليهود ولكن حظه لم يكن بأحسن من حظ ثيوداس فنكب هو وأتباعه . وقد جاء في العهد الجديد عن هذين الشخصين ما نصّه « لأنه قبل هذه الأيام قام ثيوداس قائلاً عن نفسه إنه شيء وقد التصق به نحو أربعمئة من الرجال وقد قتل وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شيء . بعد هذا قام يهودا الجليلي في أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعباً غفيراً فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا »[1] .

---

(١) أعمال الرسل ٥/٣٦ ـ ٣٨ .

وبين الأعوام ٥٢و ٥٤ للميلاد ظهر رجل يهودي من مصر ادّعى بأنه نبي وأنه سيخلّص اليهود من سيطرة الرومان فاجتمع حوله ثلاثون ألف رجل كما ذكر في إحدى الروايات فقادهم إلى جبل الزيتون في أورشليم وقال لهم بأنّه سيدخل المدينة ويحتل قلاع الرومان فيها ولكن الحاكم الروماني فيلكس تصدى له بجيش ضخم ودارت بينهما معركة كان فيها جيش المتنبىء بين قتيل وأسير وأمّا هو فقد فرّ مع عدد قليل من أتباعه .

ويبدو أن هذا المصري قد بقي حياً لفترة من الزمن بعد هذه المعركة إذ أن بولس في إحدى المرات كان قد اتهم من قبل الحاكم الروماني بأنّه هو ذلك المصري الذي قاد جيشاً من القتلة في البرية كما جاء في العهد الجديد[1] .

وكان من أشهر الذين اعتقد فيهم أنه المسيح المخلّص من اليهود في القرن الثاني الميلادي هو باركوخبا الذي قاد ثورة ضد الرومان بين الأعوام (١٣٢ م ـ ١٣٥ م) . وهناك من يرى بأن باركوخبا لم يدّعِ بأنه المسيح المخلّص وإنما الذي اعتقد فيه ذلك هو الحاخام الشهير عقيبا الذي أيّدهُ وساندهُ وكان يجوب القرى اليهودية في فلسطين يدعو اليهود ليؤمنوا به مسيحاً مخلّصاً . وكان هذا الحاخام يفسّر العبارة الواردة في سفر العدد ٢٤/١٧ « بأنَّ كوكبا

---

(١) أعمال الرسل ٢١/٣٨ ـ ٣٩ .

سيخرج من يعقوب » بأنها إشارة إلى باركوخبا ومن كلمة كوكب أخذ إسمه فهي « كوخب » بالعبرية . وكان عقيبا كلما رآه يقول هذا هو المسيح الملك ، ولما فشلت ثورة باركوخبا أبدل إسمه من باركوخبا إلى « باركوزبا » التي تعني الكذاب ، ومهما يكن من أمر فإن باركوخبا يعتبر بطلاً قومياً عند اليهود .

وقد كتب الكثير عن مقاومته للرومان بل إن البعض من الكتّاب اليهود في العصر الحديث يرى بأنَّ باركوخبا قد تحققت فيه صفات المسيح المخلّص أكثر من غيره وكان على وشك تحقيق النصر في حروبه ضد الرومان إلاَّ أنَّ الحظ لم يحالفه[1] .

وفي القرن الخامس الميلادي كان هناك اعتقاد عام لدى اليهود بأن شتاتهم لا يستمر أكثر من أربعمائة سنة منذ تهديم المعبد وهذه الفترة هي فترة العبودية في مصر فلا بد أن يأتي الخلاص قبل عام (٤٧٠ م) ، وقد ذكرت قصص من التلمود وكتب يهودية أخرى أنَّ الخلاص يكون في النصف الأول من القرن الخامس . ولذلك ظهر متنبىء في جزيرة كريت في حدود عام (٤٤٨ م) وادّعى بأنه موسى (ع) جاء لإنقاذ اليهود . وكان يسافر بين القرى اليهودية في هذه الجزيرة يدعو لنفسه ويخبرهم بأنه هو الذي سيقودهم إلى فلسطين . ولقد كان له تأثير عظيم عليهم فترك الكثير منهم أعمالهم

---

(١) S. Schindler, Messianic Expectation and Modern Judiasm, p.69.

ووزعوا أموالهم إذ أخبرهم بأنه سيأخذهم عبر البحر دون مراكب إذ أن البحر سيفلق له كما فلق لموسى (ع) وقد ضرب لهم موعداً لذلك فلما جاءوا البحر ووقفوا على جرفه أمرهم أن يقفزوا فيه فامتثلوا أمره وقفزوا ولم ينشق لهم البحر فغرق منهم من غرق ونجا منهم من نجا . وقد ساعد الصيادون والبحارة الموجودون هناك على إنقاذ الكثير منهم . أما موسى فقد اختفى ولم يعثر له على أثر . وقد ذكر أحد مؤرخي هذه الحادثة بأن الذين نجوا من الغرق قد ارتدوا عن اليهودية واعتنقوا المسيحية[١] .

وبين الأعوام (٦٤٣م و٦٤٧م) أعلن رجل يهودي من فومبيدتا من العراق عن ظهور المسيح وجمع حوله ما يقرب من أربعمائة رجل من الحاكة والقصارين وهجم بهم على مجموعة من أديرة المسيحيين وحرقوا ثلاثة منها وقتلوا أحد رؤسائهم فقبض على اليهودي فصلب وقتل أتباعه وزوجاتهم وأولادهم[٢] .

وحوالي عام (٧٢٠ م) أدّعى يهودي من سورية كان قد هاجر من بيزنطة اسمه سرفيروس أو سيرنوس بأنه المسيح المخلّص (وقيل بل ادّعى أنه نبي موطىء لظهور المسيح المخلّص) وقد صدقه جمع غفير من اليهود بل ومن المسيحيين أيضاً . ولقد ذاع صيته وانتشر

---

(١) انظر دائرة المعارف اليهودية مادة Messianic Movement وكذلك S.W. Baron, Social and Religious History of the Jews, vol.5, p.167 - 168 and p.367.

(٢) المصدر نفسه .S.W. Baron, vol.5, p.184

فآمن به يهود فرنسا وإسبانيا وقد جمع من أتباعه ومؤيديه أموالاً ومتاعاً بحجة استعمالها في طرد المسلمين من فلسطين . وقد كان أحد أسباب تأييد اليهود له هو انتقاده الحاخامين وثورته عليهم إذ كان هذا شعوراً عاماً لدى اليهود . وقد أدخل سرفيروس بعض التغييرات على الفقه اليهودي الذي مصدره التلمود وليس التوراة وأمر أتباعه بتطبيقها . مثل إلغاء الأحكام الرئيسية للطلاق والزواج ومثل إلغاء الأيام الثواني للأعياد اليهودية وكذلك تغيير أحكام الكشروت[1] وغيرها . وبعد بضع سنوات من بداية حركته أُلقي القبض عليه وجيء به عام (٧٢٤ م) إلى هشام بن الحكم الحاكم الأموي آنذاك ، ولما سأله هشام عن مدّعاه قال له سرفيروس بأنه ادّعى ذلك حتى يضلل اليهود ويسخر منهم وإن ادّعاءَه لم يكن عن إيمان وعقيدة فترك هشام أمره إلى أبناء ملته وقيل بل أمر بقتله[2] . أما بالنسبة إلى أتباعه فقد أصدر نطروناي جاؤن الرئيس الديني للطائفة اليهودية قراراً بقبول من يريد الرجوع إلى اليهودية الرسمية شرط أن يعلنوا إخلاصهم للتلمود وأن يوافقوا على جلدهم من قبل المؤسسة اليهودية تعزيراً لهم عما قاموا به من مخالفة[3] .

وفي أيام مروان الحمار آخر من حكم من بني أمية ادّعى أبو عيسى عوبدايا الأصفهاني بأنه نبي وكان هذا الرجل خياطاً أميّاً لا يقرأ

---

(١) الكشروت مصطلح عبري يعني صلاحية الشيء شرعاً وخاصة الطعام .

(٢) المصدر السابق A.H. Silver, p.56. ودائرة المعارف اليهودية مادة Serverus

(٣) J.H. Greenstone, The Messiah Idea, p.119 - 120.

ولا يكتب وقال بأنه رسول المسيح المخلّص وأن للمسيح خمسة رسل يأتون قبله واحداً بعد الآخر منهم عيسى (ع) والرسول محمد (ص) وزعم بأنَّ الله قد كلمه وأمره بتخليص اليهود من أيدي الأمم العاصية الظالمة وقال بأن المسيح الذي هو (أبو عيسى) رسوله أفضل ولد آدم وأنه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين ولما كان هو رسوله لذلك فهو أفضلهم كلهم. وقد غير أبو عيسى في بعض أحكام الفقه اليهودي فقد نهى عن أكل ذي الروح على الإطلاق وأمر بإقامة سبع صلوات في اليوم بدل ثلاث اعتماداً على ما جاء في المزمور ١١٩ / ١٦٤ « أمجّدك سبع مرات في اليوم لحكمك العادل » وكذلك كان قد ألغى الطلاق حتى في حالة الزنا ونهى عن شرب الخمر ورفض الأضحيات العبادية وغير ذلك من الأحكام . وقد جمع أبو عيسى حوله عشرة آلاف مسلح وكان يقول إن غرضه أخذ فلسطين من المسلمين بحدّ السيف . وكان لمَّا حُورب خط حول أصحابه خطاً بعود آس وقال لهم أقيموا في هذا الخط فليس ينالكم عدو أو سلاح ثم خرج هو من الخط وقتل جمعاً من المسلمين ثم قتل وهزم أصحابه وكان ذلك بالري عام (٧٥٥ م) وقد نسبت له أعمال خارقة منها تأليفه لعدة كتب مع أنه أمي . وقد كون أتباعه فرقة من بعده سميت بالعيسوية أو الأصفهانية استمرت لثلاثة قرون[١] وكانت تؤمن بأنَّ أبا عيسى لم يقتل وإنما دخل في كهف في الجبل .

وقد ادعى أحد اتباعه من همدان وإسمه يهودا أو يودغان بأنه

---

(١) J.H. Greenstone, The Messiah Idea, p.121 - 122.

المسيح وكان ذلك في القرن الثامن الميلادي . وقد حرَّم أيضاً الخمر وأكل اللحم وشرّع صلوات وصياماً وكان يرى بأنَّ الأعياد والسبت ما هي إلاَّ رموز قد بطلت بعد أن هدم المعبد اليهودي في أورشليم ، وكان يحثّ على الزهد والإكثار من الصلاة وكان يقول بأنَّ للتوراة ظاهراً وباطناً وتنزيلاً وتأويلاً وقد خالف في تأويلاته عامة اليهود[١] . وقد ذكر عن يودغان بأنّه كان متأثراً بالفكر المعتزلي ومن الثائرين على الحاخاميين[٢] . وقد بقيت شرذمة من أتباعه حتى عام (٩٣٨ م) تؤمن بظهوره مرة أخرى .

وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي كان هناك توقّع لظهور المسيح المخلّص من قبل اليهود ولذلك ظهرت تنبؤات من أشخاص لم تتوفر فيهم حتى الشروط الأولية للمسيح المخلّص كما ذكرها علماء اليهود . ومن هؤلاء رجل يهودي إسمه سلومون الكاهن وكان قد ادّعى بأنَّه المسيح المخلّص وأنه هو الذي تبحث عنه اليهود وكان يسافر من مكان إلى آخر يخبر اليهود بأنه سيجمعهم بعد شهرين ونصف إلى أورشليم . مع أنه كان كاهناً والكاهن عادة

---

(١) الشهرستاني ، الملل والنحل ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٢) تميز القرن الثامن الميلادي منذ منتصفه بظهور فرق يهودية تميزت ـ من جملة ما تميزت به ـ بنقد الحاخامين بل ورفضهم وما يتبع ذلك من رفض للتلمود الذي هو مصدر قوتهم . وكان من أشهر هذه الفرق فرقة القرائين التي انشأها عنان بن داود في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي . وتعتمد هذه الفرقة في أحكامها الفقهية على كتاب « العهد القديم » فقط رافضة بذلك التلمود والمشناة ، وجعلت من مصادر فقهها القياس والإجماع وأجازت الاجتهاد أيضاً وقد تأثرت في ذلك بمدارس الفقه الإسلامي . وتعيش هذه الفرقة اليوم في أجزاء متفرقة من العالم .

يكون من نسل سبط لاوي وليس من نسل داود الذي هو شرط في المسيح المخلّص كما ذكرنا سابقاً[١] .

ومن القصص التي تذكر بهذا الصدد أن امرأة يهودية أبوها طبيب كانت تنبأت (عام ١١٢٠م) في بغداد وادّعت بأنها التقت النبي الياهو إذ أخبرها أنَّ المسيح على وشك الظهور وقد أحدث تنبؤها ذلك ضجة بين اليهود وغيرهم تدخلت على أثره الدولة ولا ندري كيف كانت نهاية أمرها[٢] .

وفي (عام ١١٢٧ م) ظهر يهودي في فاس إسمه موسى الدرعي (من درعا) مدعياً لليهود بأنه المسيح المخلّص لهم .

كان من علماء اليهود المعروفين وقيل بأنَّ اليهود التفوا من حوله لأنه تنبأ لهم بأشياء تحققت كما تنبأ بها وقد قال لمن آمن به بأنه سيحقق معجزته في الليلة الأولى من الفصح وأمرهم بأن يبيعوا أمتعتهم ويشتروا من المسلمين ما قيمته ديناراً بعشرة دنانير من أجل أن يحققوا ما جاء في التوراة من سفر الخروج ٣٦/١٢ « وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين » وأنهم بعد الفصح سوف لا يرونهم ، وجاء الفصح ومرّ ولم تحدث المعجزة وأصاب أصحابه عنت وإرهاق وأصبحوا صعاليك فقراء بسبب ما كانوا مدانين به للمسلمين . وقد هرب

---

(١) و (٢) المصدر السابق .S.W. Baron, vol.5, p.202

الدرعي إلى فلسطين ومات فيها[1] .

ومن الحركات المسيحانية الشهيرة حركة مناحم بن سلومون الذي اشتهر فيما بعد بداود الرُئي . كان داود هذا قد ولد قرب العمادية (شمال العراق) ورحل إلى بغداد ودرس فيها لبضع سنين . وعلى الرغم من أن هناك خلطاً في الأشخاص والأحداث إلاّ أنَّ المعتقد أن الحركة هذه كانت في النصف الأول من القرن الثاني عشر في كردستان ، وكانت بطبيعتها عسكرية وكان بطلها داود رجلاً ساحراً ومغامراً وقد ادّعى أبوه سلومون بأنه الياهو النبي وأن ابنه داود هو المسيح وأخذ داود يدعو يهود العراق وما جاوره للتصديق به . فتبعه جمهور منهم وكان نشيطاً لحركته يبعث بالرسائل والمندوبين إلى الجاليات اليهودية وكان يعدها وعداً أكيداً أنه سيجمع اليهود من أطراف الأرض إلى فلسطين حيث أرسله الإله لهذه المهمة ، وقد طلب من اليهود التوبة والإستغفار تمهيداً لذلك . وقد جيش جيشاً ضخماً ضم الكثير من اليهود الذين جاؤوا من بلدان مختلفة وأعلن الحرب على المكتفي بالله واحتل قلعة العمادية ثم عزم على احتلال المنطقة المجاورة والسيطرة عليها . وقبل أن يقوم بذلك كانت هناك خطة للخلاص منه ولا يعرف على وجه الدقة كيف كان ذلك . فبعضهم يقول إنَّ الحكومة دبرت أمر قتله بينما يرى آخرون أن والد زوجته هو الذي اغتاله في نومه . ويقول الرحالة اليهودي بنيامين

(١) G.W. Buchanan, Revelation and Redemption,p.98-99.
ودائرة المعارف اليهودية مادة : Messianic Movement

التطيلي أن ذلك كان في عام (١١٦٠ م)[1] . ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد والذي يدل على سرعة تصديق العامة من اليهود لما يأمرهم به هؤلاء أنَّ داود الرئي أرسل رسالة إلى اثنين من زعماء اليهود في بغداد يخبرهما فيها عن الإنتصارات القادمة ويبشرهم بأنهم سيتحررون من سيطرة أعدائهم كما يقول ولكن الرسالة بلغت بشكل مختلف لليهود ولا يعلم على وجه الدقة كيف حدث ذلك ، وقد أخبر اليهود بأنه في ليلة معينة يجب أن يصعدوا إلى سطوح منازلهم لأنهم سيطيرون ليلاً إلى أورشليم وجاءت النساء بأموالهن وحليهن إلى هذين الرجلين لكي يتصدقا بها نيابة عنهن عندما يكنّ في أورشليم . وقد تصدَّق اليهود بأكثر أموالهم ولبسوا ملابس خضر كما أمروا وصعدوا فوق السطوح في الموعد المعين ينتظرون لحظة الطيران على أجنحة الملائكة وكانت النساء يبكين على أطفالهن الرضَّع خشية أن لا يحصلوا على رضعاتهم ومرّت تلك الليلة ولم يحدث شيء . وعلى أثر ذلك أصبح اليهود أضحوكة للنَّاس في بغداد .

وبعد موت داود استمرت مجموعة من أتباعه يؤمنون بأنه سيظهر مرة أخرى وبقيت تقدّسه لفترة طويلة وأطلق عليها « المناحمية » . وقد وجد هؤلاء في العمادية وكوه وتبريز ومراغة . وقد كتب بنيامين دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا ١٨٧٤ ـ ١٨٨٠ م

---

(١) ويقال بأن وفاته كانت قبل ذلك بعدة سنوات .

الذي كان من أصل يهودي رواية عن داود الرئي يصوّره فيها بطلاً قومياً فاتحاً[١] .

وفي حدود عام (١١٧٢م) أدّعى يهودي من اليمن بأنه الموطىء لظهور المسيح المخلّص وقد أخبر الناس بأنَّ المسيح في اليمن وقد اجتمع حوله خلق كثير من اليهود وقد جعل مقر حركته في الجبال وقال لأتباعه بأنَّ المسيح قد أخبره بأن يعطي الأغنياء أموالهم للفقراء لكي يصبحوا أغنياء ثم يرجعونها لهم لكي يصبح الفقراء أغنياء وهكذا حتى تصبح الأموال متداولة بينهم .

وعندما قبض عليه وسئل عن سبب ادعائه أجاب بأنَّ ذلك كان بأمر من الله . ولما سأله الوالي عن الدليل قال له اقطعوا رأسي وسوف أرجع إلى الحياة مرة أخرى فقال له الوالي ليست هناك حجة أقوى من هذه ولئن رجعت إلى الحياة لأكونن أول المؤمنين بك والمصدقين لك وعندما قطع رأسه انتهى أمره[٢] .

وفي عام (١٢٨٤ م) ادّعى حاخام من صقلية اسمه أبراهام أبو العافية بأنه المسيح . وكان هذا الحاخام واسع العلم دارساً لأكثر من فن من فنون المعرفة مختصاً بعلم القبالة ومتعمقاً فيها . وقد كتب كتاباً اسماه « سفرهاأوت » (كتاب العلائم) ذكر فيه العلائم لخلاص

---

(١) راجع عن داود الرئي : دائرة المعارف اليهودية تحت مادتي Alroy and Messianic Movement.

S.W. Baron, Social and Religious History of the Jews, vol.5, p.202-5.

(٢) المصدر السابق S.W. Baron, Vol, 5, p.205.

اليهود وقال لليهود بأنّ هذا الخلاص على وشك التحقق وطلب منهم أن يتوبوا ويتوجهوا إلى إلههم لمعرفة إسمه الحقيقي وأكد لهم بأنّهم إنما شُتتوا وعُذّبوا بسبب جهلهم لذلك . ولم يستجب اليهود له عدا مجموعة من اليهود الألمان الذين هاجروا إلى فلسطين عام ١٢٨٤ م إنتظاراً للخلاص تأثراً به . وقد انتقل بدعوته إلى المسيحيين محاولاً إقناعهم بها ثم ذهب إلى البابا نيكلوس الثالث وطلب منه اعتناق اليهودية .

وقد تميز أبو العافية بنقده اللاذع للتلمود وقال بأنه عقيم ومملوء بالمتناقضات وانتقد المشناة أيضاً واعتبرها قبراً للفقه اليهودي وشريعة موسى واعتبر الحاخامين قروداً لا يفهمون من العلم المقدس شيئاً[١] .

وكان أول يهودي أشكنازي[٢] يدّعي بأنه نبي ممهد للمسيح المخلّص هو أشرلاملن من منطقة قرب فنيسيا حيث أعلن عام (١٥٠٢ م) بأن المسيح سيظهر في هذه السنة ولقد صدقه الكثير من اليهود وكان منهم رؤساء بعض الجاليات اليهودية بل صدقه

---

(١) المصدر السابق .A. H. Silver,p .89-90

(٢) يترجم الإسم اشكنازيم (جمع أشكنازي) باليهود الغربيين والسفارديم (جمع سفاردي) باليهود الشرقيين . وهذا في اعتقادي فيه شيء من عدم الدقة . لأن الإسم سفارديم يطلق على اليهود البرتغاليين والإسبان حتى لو كانوا في أمريكا الشمالية أو بريطانيا مثلاً . ويقصد بالأشكنازي من لم يكن أصله من البرتغال أو إسبانيا أو من الشرق .

أيضاً بعض المسيحيين . وقد ذكر عنه بأنه أعطى الكثير من الأدلة والبراهين على صحة دعواه وطلب من اليهود كما طلب من جاء قبله منهم أن يتهيؤوا ليوم الخلاص ويعلنوا توبتهم ويطلبوا المغفرة قبل ظهور المسيح ولقد قيل بأن عدد الناس الذين أعلنوا توبتهم تلك السنة لم ير مثله من قبل حتى إن العام سمي بعام التوبة .

ومع ذلك فقد مرت تلك السنة ولم يظهر المسيح ولم يبن شيء يشير إلى ظهوره وعندما توفي أشرلاملن ارتدَّ جمع من اليهود عن دينهم[٣] .

وكان من الذين اعتقد فيهم أنَّه المسيح المخلّص في القرن السادس عشر داود الراؤوبيني وكان هذا الرجل من يهود جزيرة العرب ولا يعرف أصله على وجه التحديد . . ويبدو أنه كان من يهود خيبر وقد ادّعى هو أنَّه كان من أحفاد سليمان بن داود (ع) . وقد قيل بأنَّه لم يدّع أنه المسيح المخلّص ولكنه كان يعد اليهود بانقاذ فلسطين من أيدي المسلمين . وقد سافر إلى كثير من الأقطار من أجل هذه المهمة وأخبر اليهود وغيرهم بأنَّه يمثل دولة يهودية مستقلة في خيبر على رأسها أخوه الملك يوسف ولها جيش تعداده (٣٠٠,٠٠٠) جندي على أهبة الإستعداد للحرب . فذهب إلى مصر عام (١٥٢٣ م) ومنها إلى فلسطين ومن هناك سافر إلى أوروبا يطلب من اليهود تأييده في مهمته وكان معه عَلَمٌ من حرير كتب عليه الوصايا العشر ودرع كتبت عليه أسماء الإله المقدسة .

---

(٣) المصدر السابق A.H. Silver, pp.144-5

وادّعى بأنّه درع داود النبي الذي استعمله في حروبه . وقد أثر على كثير من اليهود في إيطاليا فكانوا يأتون إليه يقبلون يديه ويعرضون تأييدهم عليه ومساعدتهم له .

وكان الراؤوبيني يحدث هؤلاء عن الدولة اليهودية المزعومة وعن الذهب والفضة والمعادن الثمينة الأخرى المبذولة والتي لا قيمة لها هناك . وكان اليهود يلتفون حوله يصغون لهذه الأحاديث بتلهف ويستمعون لها بشغف يجلسون عنده ساعات طويلة لا يسأمون منها ولا يملون . وقد طلب أن يلتقي بالبابا كلمنت السابع (ت ١٥٣٤ م) حيث ادّعى بأنَّ عنده رسالة خاصة له من أخيه يوسف . فالتقى به وعرض عليه أن يشترك هو والمسيحيون لمقاتلة المسلمين وأخذ فلسطين منهم . وقد زوده البابا برسائل إلى ملك الحبشة وملك البرتغال جون الثالث وقد وعده هذا بتزويده بثماني بواخر وعدة مئات من المدافع ولكن لم يف بوعده له وقد قال الراؤوبيني لممثل سلطان المغرب في البرتغال بأنَّ الوقت قد حان للتخلّص من المسلمين . ثم ذهب إلى إسبانيا ومكث فيها زمناً اجتمع حوله بعض اليهود وتأثروا به ولكن الحكومة الإسبانية قبضت عليه بعد أن شكّت في أنّه يحول المسيحيين إلى يهود وفي إسبانيا ضاع أثره ولم يسمع له خبر[1] . هؤلاء هم بعض الذين تنبأوا وادعوا بأنّهم المسيح المخلّص . وعلى

---

(١) راجع عن داود الراؤوبيني :

G.Scholem, The Messianic Ideq in Judiasm, pp.270f.

S.Schindler, Messianic Expectation and modern Judiasm, pp103-107. و

ودائرة المعارف اليهودية مادة : DavidRauveni

الرغم من أنَّ واحداً من هؤلاء لم تثبت صحة ادّعائه فـإنَّ الإدّعاء بقي مستمراً وكذلك بقي تصديق اليهود لمن يدّعي وليس أدلّ على ذلك من تصديق اليهود لشبتاي عندما أعلن للعالم أنَّه المسيح المخلّص .
وقبل أن أتحدث عن حركته أودّ أولاً أن أبدأ بالحديث عن حياته .

الفصـل الأول
مؤسس فرقة الدونمه شبتاي صُبِّي

البدايــة

ولد شبتاي[1] صُبِّي في أغسطس من عام (١٦٢٦ م)[2] في مدينة أزمير التركية من أبوين يهوديين. وكان أبوه مردخاي قد هاجر من اليونان إلى تركيا واشتغل بتجارة الدجاج والبيض وأصبح تاجراً معروفاً وكان أيضاً وكيلاً لبعض الشركات الإنجليزية والهولندية ولا يعرف على وجه التأكيد فيما إذا كان أصل العائلة من اليهود والسفارديم أو الأشكنازيم وإن كان الإسم صُبِّي غير معروف بين اليهود السفارديم . وكان شبّتاي أحد إخوة ثلاثة ولدوا لمردخاي . ومنذ صغره توسم فيه أبوه ملامح ذكاء فأراد أن يحقق رغبة في نفسه في أن يصبح أحد أبنائه حاخاماً .

وهكذا كان وأرسل شبتاي وهو ما زال طفلاً صغيراً إلى

---

(١) غالباً ما يسمى المولود عند اليهود شبتاي إذا ولد في يوم السبت .

(٢) حسب التاريخ العبري كانت ولادة شبتاي في (٩آب) من عام (٥٣٨٦ .) والتاريخ العبري يبدأ من خلق آدم في ضوء ما ورد من تواريخ في التوراة .

المدارس الدينية اليهودية وقد تحقق لأبيه ما أراد فما أن بلغ شبّتاي ثمانية عشر عاماً حتى أصبح حاخاماً مؤهلاً واعترف له بالأستاذية وتصدى للتدريس وتحلق حوله طلاب يدرسون على يديه ويتأثرون به . ومنذ أن كان طالباً كانت عنده ميول قوية لدراسة القبالة يجلس الساعات بين كتبها يحاول التعمّق فيها والكشف عن أسرارها . وكان من عادة شبّتاي أن يذهب مع طلّابه في الأسبوع مرة أو مرتين إلى البحر للإغتسال فيه وكذلك كانوا يذهبون إلى البساتين القريبة من المدينة لمناقشة بعض الآراء والمسائل الدينية والفلسفية .

وتزوج شبّتاي عندما كان في الثانية والعشرين من عمره ولكنه لم يقرب زوجته وطلقها بعد بضعة أشهر من زواجه لها . ثم بعد فترة قصيرة عقد على امرأة أخرى ولم يقربها أيضاً فطلقها . وكان أصحابه والمقربون منه يفسّرون ذلك على أنّه نوع من الطهارة والتبتّل وأمّا هو فكان يقول بأنّ الروح القدس قد أوحى له بأنّ زواجه من المرأة المناسبة له لم يحن بعد . وبسبب هذا وأمثاله من الأعمال التي كان يقوم بها شبّتاي والتي كانت غير متفقه والسلوك العام للناس اتّهم بأنّه رجل غير طبيعي[1] .

وحول هذا الموضوع ذكر مؤرخو حياة شبّتاي أنه عندما كان في العشرين من عمره أو قبل ذلك بقليل كان يسلك أحياناً سلوكاً شاذّاً . وهذا السلوك الذي أخذ منذئذٍ نمطاً معيناً صاحبه طوال حينه يطلق

---

(١) G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.123ff.

عليه في علم النفس Cyclothmia وهي حالة نشاط وهيجان بالغين يعقبهما انقباض وقنوط .

وقد أطلق أتباعه على الحالة الأولى حالة الإستنارة وعلى الحالة الثانية حالة استتار الوجه (وجه الإله) . وكان شبّتاي عندما تعتريه الحالة الأولى يتغنى بالأشعار وينشد المزامير بصوت عال وأحياناً يرقص أمام طلابه وزواره وكان يلجأ إلى الوحدة والإعتزال عن الناس عندما تصيبه الحالة الثانية . وعندما كان يسأل عن هذا الإعتزال يكون جوابه بأنّه كان يصارع قوى الشرّ والشياطين .

وبدأ شبّتاي يلمح إلى طلّابه وأصدقائه بأنه سيحقق أشياء عظيمة في المستقبل وفي نفس الوقت كان يتحدث عن ظهور المسيح المخلّص ووقت ظهوره . ولم يكن هذا ليجلب انتباه اليهود لولا أنّه أخذ يقوم بأعمال مخالفة لليهودية .

في أحد الأيام عندما كان يقرأ مقاطع من التوراة نطق الإسم (يهوه) كما هو مكتوب مع أنَّ اليهود لا يجيزون نطقه تعظيماً له وينطقون بدله أدوناي (الرب ، السيد) إلّا في حالات خاصة كنطقه من قبل الكاهن الأكبر عند الهيكل مرة في السنة في وقت معين وقد تكرر هذا العمل وأمثاله من قبل شبّتاي . ثم إنه في يوم من الأيام أخبر طلّابه بأنّه هو الذي سيكون المسيح المخلّص لليهود وأسرّ كذلك إلى بعض أصحابه بذلك ولا ندري فيما إذا كان هؤلاء قد ناقشوه في ادعائه هذا ولكن الذي ندريه أنهم صدقوه بما قال .

وقد نتساءل ما الذي دفع شبّتاي لأن يدّعي هذا الإدعاء الذي لم يتخل عنه إلى أن مات ، ثم كيف تمكن من إقناع أولئك الذين آمنوا به . إنَّ لدينا وثيقة جاءت من شبّتاي نفسه تبين لنا السبب الذي دعاه إلى ذلك . فقد ذكر حاخام إسمه سلومون لينداو بأنَّ شبّتاي عندما التقاه في حلب عام (١٦٦٥ م) (عند رجوعه من فلسطين إلى تركيا) أخبره بالقصة التالية : قال شبّتاي « إنه في إحدى الليالي من عام (١٦٤٨ م) هبط عليه روح الله عندما كان يتمشى في الليل على بعد ساعتين من المدينة حيث سمع صوت الله يقول له أنت مخلّص إسرائيل أنت المسيح بن داود المختار من قبل ربّ يعقوب وأنت المقدر لك إنقاذ إسرائيل وجمعهم من أركان الأرض الأربعة على أرض أورشليم »[١] . ولم يبق ادّعاء شبّتاي سرّاً محصوراً بين طلّابه وأصحابه بل سمع به رجال الدين اليهود أيضاً فاستدعوه للمثول أمامهم للتأكد ممّا كان يدعيه إلّا أنَّ شبّتاي رفض ذلك بل وسخر منهم .

فتدارسوا أمره بينهم واتفقوا على أن يطردوه من اليهودية وكان أُستاذه إسكابا من بين الذين وافقوا على هذا الأمر بل إنهم لم يكتفوا بذلك فحكموا عليه بالجلد أيضاً وإخراجه من مدينته أزمير[٢] .

وغادر شبّتاي أزمير أمـا في عام (١٦٥١ م) أو في ١٦٥٤ م)

---

(١) G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.136.

(٢) أنظر دائرة المعارف اليهودية مادة : Shabbatai Zevi

إلى سالونيك التي كانت فيها جالية يهودية تعدّ من أكبر الجاليات اليهودية يومئذٍ في الدولة العثمانية ولا ندري ما الذي دفعه إلى السفر إلى هناك . وقد يكون حجم الجالية أحد أسباب ذلك .

وفي سالونيك استمر شبّتاي على سلوكه وكان يعطي مبررات لما يقوم به خصوصاً لتلك الأعمال التي تخالف شريعة اليهود . وفي أحد الأيام أولم وليمة للحاخامين المعروفين في هذه المدينة وعندما التأم جمع هؤلاء جاء بمظلة زواج ثم جاء بنسخة من التوراة وأخذ يقوم بمراسيم عقد الزواج بينه وبين التوراة إذ تعتبر بنت الإله عند القباليين وقد أثار هذا العمل غضب الحاخامين وقد برر شبّتاي عمله هذا لهم بأن كل من يؤمن بالتوراة ويلتزم بها فهو زوج لها وذكر لهم بأنّ هناك إشارات في العهد القديم لذلك ولكن ذلك لم يقنعهم . وبقي أيضاً مستمراً على نطق الإسم يهوه وكان عندما يسأل عن ذلك يقول بما أنّه المسيح المخلّص فإن له الحق في ذلك[١] . من أجل ذلك أمر الحاخامون بإخراجه من سالونيك وترك شبتاي سالونيك وذهب إلى أثينا وبعض المدن اليونانية يلتقي الجاليات اليهودية هناك ثم رجع إلى تركيا عام (١٦٥٨ م) واستقر في القسطنطينية وفي هذه المدينة استقبله العلماء اليهود استقبالاً حسناً ولكن نظرتهم له تغيرت بعد أن رأوا الغريب من سلوكه . فمن أعماله الغريبة التي قام بها أنه في أحد الأيام إشترى سمكة كبيرة ولفها بقماش ووضعها في مهد .

---

(١) G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.159.

وعندما سمع الحاخامون بذلك سألوه عنه فأوضح لهم بأن خلاص إسرائيل سيكون تحت رمز الحوت أما بالنسبة إلى المهد فهو رمز يشير إلى النمو البطيء لخلاص إسرائيل عند ظهور المسيح .

ثم إنه احتفل بأعياد يهودية ثلاثة في أسبوع واحد وهذا غير جائز عند اليهود ثم إنّه أيضاً أعلن عن تغيير بعض أحكام التوراة لأن المسيح المخلّص يأتي بأحكام جديدة . وكان شبّتاي يستشهد بنصّ من العهد القديم وهو « انصتوا إليّا يا شعبي ويا أمتي إصغي لأنّ شريعة من عندي تخرج »[1] وقد خشي الحاخامون أن ما يقوم به شبتاي هو بداية انشقاق في اليهودية وهو أخوف ما يخافونه فاصدروا حكماً آخر عليه بالطرد من اليهودية وحرموا على اليهود الإتصال به وكذلك حكموا عليه بالجلد فجلد أربعين مرة . وبعد ثمانية أشهر من بقائه في القسطنطينية غادرها إلى مسقط رأسه ولا ندري كيف كانت معاملة الحاخامين له في هذه المدينة وهم الذين كانوا قد طردوه منها .

في الواقع إنّ أحداث السنين التي قضاها شبّتاي في هذه المدنية قبل رحلته إلى الشرق يحيط بها الغموض وإن كانت بعض الأخبار تذكر بأنّه كان يقضي كثيراً من الوقت في غرفة حقيرة لوحده . وكان يثقل على أخويه أن الناس يتحدثون عن شبّتاي وأعماله الغريبة لذلك اقترحا عليه أن يذهب إلى فلسطين ولا نعرف ماذا كان يدور في ذهن أخويه ولكن الذي نعرفه أنّ الإقتراح لاقى هوى في نفسه فزوده أخواه بمبلغ من المال جيد فحزم أمتعته وولى وجهه شطر فلسطين .

---

(١) سفر إشعيا ٥١/٤ .

رحلة شبّتاي إلى الشرق

غادر شبّتاي بلدته في عام (١٦٦٢) ولم يذهب مباشرة إلى فلسطين بل ذهب أولاً إلى جزيرة رودس ونزل ضيفاً عا حاخام الجزيرة وبقي عنده شهراً .

ثم ترك الجزيرة ومرّ بطرابلس في سوريا ثم من هناك ذهب إلى مصر . وفي مصر بقي بضعة أشهر تعرف خلالها على رئيس الجالية اليهودية ومسؤول الخزانة المالية في مصر اسمه رفائيل يوسف وكان يعيش في كنف هذا الثري خمسون من رجال الدين اليهود كان ينفق عليهم من ماله الخاص . وكان لشبّتاي مع هؤلاء مناقشات ومطارحات انصبّ أكثرها على قضايا دينية وقبالية فأقروا له بالعلم واعترفوا له بذلك .

ومن مصر توجه شبتاي إلى فلسطين ووصل أورشليم في صيف (١٦٦٢ م) وبقي فيها سنة . وقد ذكر عنه بأنّه كان يبقى في غرفته وحيداً معتكفاً لفترات طويلة يطبق القضـايا القبالية على نفسه . وذكر أيضاً بأنّه كان يخرج إلى الصحراء وإلى الجبال القريبة من المدينة يبقى هناك ليالي وأياماً وكان يذكر إلى من تعرف عليهم هناك بأنه كان يسمع أمواتاً تخرج من القبور حيث كان يذهب لزيارة قبور بعض الأولياء اليهود من أجل أن تحل أرواحهم فيه[1] وقد التفّ حول

---

(١) في أدبيات القبالة أنه بالإمكان أن تحل روح ميت في جسم الإنسان الحيّ فيكون له روحان تسمى الثانية بالعبرية دبّوق وعملية الحلول هذه تسمّى جلجلول .

شبّتاي خلال إقامته في أُورشليم مجموعة من اليهود الذين تأثروا به .

وأثناء وجود شبّتاي في أورشليم أصابت الجالية اليهودية فيها ضائقة مالية فأرادت أن ترسل شخصاً إلى مصر لجمع المال لها وطلبت من شبّتاي أو طلب هو منها أن يقوم بهذه المهمة لعلاقته برفائيل يوسف . فذهب إلى مصر عام (١٦٦٣ م) ، وظل فيها عند رفائيل ما يقرب من السنتين . ويقال بأنَّه أيام إقامته في مصر أقنع رفائيل وبعض اليهود بأنَّه المسيح المنتظر الذي سيعلن عن ظهوره . وكان في هذه الفترة قد سمع عن امرأة يهودية كانت قد عثرت عليها راهبات بعد مذبحة جملنسكي عام (١٦٤٨ م) في بولندا وأبقينها في ديرٍ لعدة سنوات . ثم في أحد الأيام وجدها يهود في مقبرة فأخبرتهم عن أصلها وأدّعت بأنَّ روح أبيها الذي قتل في المذبحة المذكورة هي التي قد حملتها من الدير إلى المقبرة . فأخذها هؤلاء إلى هولندا حيث وجدت أخاها ومنها غادرتها إلى إيطاليا حيث استقر بها المقام . وكان يحكى عن هذه المرأة حكايات غريبة وتتنبأ للناس بالمستقبل وتدّعي بأنَّها ستكون زوجة المسيح المخلّص . وكان أحد أسباب شهرتها جمالها الأخاذ وسلوكها الغريب مع الرجال .

وقد أرسل لها شبتاي خبراً برغبته في الزواج منها فوافقت على ذلك دون تردد . ويقال بأن شبتاي كان يعلم بسلوكها الغريب ويقال أيضاً بأنه كان قد تزوجها لهذا الغرض تقليداً للنبي هوشع الذي جاء عنه في العهد القديم ما هذا نصّه « أول ما كلم الربّ هوشع : قال

---

(١) دائرة المعارف اليهودية مادة : Shabbatai Zevi

الربّ لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنا وأولاد زنا لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الربّ » وجاء في هذا السفر أيضاً « وقال لي الربّ إذهب أيضاً واحبب امرأة حبيبة رجل وزانية »[1] .

وقد احتفل شبتاي بزواجه في قصر رفائيل يوسف عام (١٦٦٤ م) وكان احتفالاً تميّز بالبذخ والأبهة .

وقد تناهي إلى سمعه وهو في مصر أن شخصاً اسمه ناثان بنيامين أشكنازي يسكن غزّة كان قد ادّعى النبوّة وكان ناثان هذا ذا باع بالتوراة ومعرفة بالتلمود وعلم القبالة . وقد أصبح هذا المتنبىء فيما بعد من أول المصدقين بشبتاي والمؤمنين به والدّاعين إليه . وكان لـه دور مهم ونشاط تميّز في حركة شبتاي منذ البداية حتى وفاته .

وكان يفسّر كل الأعمال الغريبة التي صدرت عن شبتاي في ضوء المعتقدات اليهودية . وعزم شبتاي على الذهاب إليه من مصر والتعرف عليه والاجتماع به . ومنذ اللقاء الأول بينهما لم تنقطع صحبتهما . وبقي الإثنان يقضيان أوقاتاً طويلة يخلوان فيها سوية يتحدثان ويتناقشان وكان ناثان أثناء هذه اللقاءات يحاول أن يثبت لشبتاي صحة نبوّته وفي نفس الوقت يؤكد لشبتاي صحة مدّعاه وأنه هو المسيح المخلّص بناء على رؤىً رآها وتفسيرات استخرجها من الكتب الدينية . ثم سافرا سوية إلى أورشليم وحبرون وذهبا إلى

---

(١) سفر هوشع ٢/١ و١/٣ .

زيارة قبور بعض الأنبياء في فلسطين وبعدها رجعا إلى غزة[١] .

إعلانه للعالم أنه المسيح

لم يكن شبّتاي قد أعلن للعالم بعد بأنه المسيح وقد كان ادعاؤه إلى هذا الوقت محصوراً بين عدد قليل من الناس ولو لم يكن شبّتاي قد أعلن للعالم ذلك لم تصبح حركته كما أصبحت ولم يكن لها مثل التأثير الذي أثرت ، بل من الممكن أن لا تكون فرقة الدونمه قد وجدت .

ويبدو أن ناثان قد أقنع شبتاي بأن الوقت قد حان بأن يعلن للعالم ذلك وكان ناثان قد أعدّ العدّة لذلك بطرق اعتقد بأنها ستكون مؤثرة على الناس .

فمن ذلك وأثناء ما كان هو وبعض الطلاب اليهود ينشدون الأناشيد ولم يكن شبّتاي حاضراً غشي على ناثان . وفي أثناء غشيته طلب ناثان من الحاضرين التوبة . ثم أخذ يردد وهو على تلك الحالة الجملة التالية « اسمع يا ناثان إلى محبوبي ، واعمل كما يقول لك ، اسمع لمحبوبي شبّتاي صُبِّي وكرر ذلك ثلاث مرات[٢] .

ولم يفهم الحاضرون الغرض من ذلك فأوضحه لهم ناثان بعد ذلك وقال لهم بأنَّ شبّتاي هو ملك إسرائيل وهو المخلّص لهم .

---

(١) G.Scholem, Sabbatai Sevi, pp.213ff.

(٢) المصدر نفسه G.Scholem, p.218.

ثم بعد أيام أعلن ناثان أنّه عثر على ورقة هي جزء من رؤيا كان قد رآها حاخام اسمه إبراهام عاش في القرن الثاني عشر الميلادي وقد جاء في هذه الرؤيا : أنَّ شخصاً اسمه شبّتاي صبّي سيولد لمردخاي في عام ٥٣٨٦ (١٦٢٦ م) وسيكون هو المسيح الحق الذي سيكون خلاص إسرائيل على يديه وتكون مملكته أبدية [١] . وذكرت في هذه الرؤيا بعد التفصيلات الأخرى التي تنطبق على شبّتاي .

ويعتقد بعض الباحثين أنَّ الجزء الذي يتعلق بشبّتاي من الرؤيا هو من تأليف المتنبىء ناثان[٢] ثم أعلن شبّتاي أنه هو المسيح وكان هذا هو الإعلان الرسمي عن مهمته وكانت هذه الحوادث قد وقعت بين (١٤ و١٧) من الشهر العبري سيوان[٣] الذي صادف (٢٨ - ٣١ من مايو عام ١٦٦٥ م) .

ولذلك فإن السابع عشر من سيوان يعتبر من الأعياد المهمة

---

(١) S. Dunbov, history of the Jews vol.4, P.54.

(٢) G.Scholem, Sabbatai Zevi, pp.228ff.

(٣) هذا هو الشهر التاسع من الشهور العبرية التي هي : تشري ، حشوان ، كسلو ، طبت ، شبط ، آذار ، نيسان ، أيار ، سيوان ، تموز ، آب ، أيلول . والشهور العبرية هي شهور قمرية بينما السنة تكون شمسية . ومن أجل أن يتطابق هذان النظامان يكون في بعض السنين ثلاثة عشر شهراً ويقحم هذا الشهر بين شباط وآذار ويسمى آذار الأول . كل ذلك من أجل الإحتفاظ بالمناسبات الدينية اليهودية والأعياد في فصولها التي بدأت بها أول مرة . فعيد الفصح مثلاً يبقى دائماً في فصل الربيع كما كان منذ البداية وهكذا .

عند الدونمه ، لأنه يعتبر بداية مهمة شبّتاي العلنية . وأخذ ناثان يدعو الناس من اليهود للتوبة ويطلب منهم الصيام تكفيراً عن ذنوبهم وجاء الناس إلى غزة من كل أنحاء فلسطين من أجل ذلك . وذهب شبّتاي مع مجموعة من أتباعه إلى أورشليم وركب فرساً وطاف بالمدينة وحلل بعض الأشياء المحرمة في شريعة اليهود حيث أجاز لأتباعه أكل شحم الكبد .

وفي المدينة لقي معارضة من اليهود والمسلمين على حدّ سواء فأُخرج من المدينة . وأعلن شبّتاي بأنه سيذهب إلى تركيا وأخبر ناثان أتباع شبّتاي بأنه سيكون ملكاً ويقود السلطان العثماني أسيراً[١] . وعين شبّتاي ممثلين لقبائل إسرائيل الإثنتي عشرة فذهب هؤلاء إلى مناطق مختلفة خارج فلسطين مشيدين به ومبشرين بظهوره .

ورحل شبّتاي إلى تركيا عن طريق حلب وفيها لقي من الحفاوة والتكريم من قبل اليهود ما يليق بالفاتحين والملوك[٢] . وقد كان صحبة شبّتاي مجموعة من المؤمنين به منهم شخص اسمه صموئيل فريمو وكان هذا لا يقل عن ناثان قدرة على الدعاية لشبّتاي وتأثيراً على اليهود بأسلوب اتّسم بمسحة من المبالغة والعاطفة وبسبب ذلك اتخذه شبّتاي مستشاراً وكاتباً له .

---

(١) H.C. lukach, The city of Dancing Dervishes, p194.

(٢) H.Graetz, Pupolar History of the Jews vol,5 p.162.

أما ناثان فقد بقي في غزة يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح المخلّص وعندما وصل شبّتاي إلى تركيا قرر ناثان الإلتحاق به والإنضمام إليه وهو في أثناء ذلك كان يبعث بالرسائل إلى الجاليات اليهودية يحثهم على الإيمان بشبّتاي

ومن الرسائل التي أرسلها إلى الجاليات اليهودية الرسالة التالية : « إلى البقية الباقية من أبناء إسرائيل سلام بلا انقطاع ، أبعث لكم بكتابي هذا من أجل إعلامكم بأنني قد وصلت بسلام إلى دمشق وإني سوف أذهب لرؤية وجه سيدنا الذي عظم مقامه لأنه هو ملك الملوك الذي ستعظم مملكته ولقد انتخبنا اثني عشر رجلاً يمثلون قبائل إسرائيل الإثنتي عشرة كما أمرنا والآن نحن ذاهبون إلى الاسكندرونة إطاعة لأمره من أجل أن نجتمع في المكان الذي أجاز لنا الإجتماع فيه والآن يجب أن أقول لكم وأوضح بأنَّ سماعكم بالأعمال الغريبة التي قام بها سيدنا يجب أن لا يغير من أفكاركم أو يخوفكم بل يجب أن تجندوا أنفسكم للتصديق بذلك لأنَّ كل أعماله أعمال عجيبة وأسرار لا يمكن أن يفهمها البشر ولا يمكن أن تدخل أعماق نفوسهم . في وقت قريب سوف يكشف لكم عن كل الأشياء بجلاء ووضوح وسوف تعلمون ذلك من قبل الإله نفسه . مبارك هو الذي ينتظر ومبارك الذي يشمله خلاص المسيح الحق الذي سيتحقق في وقت عاجل والذي سيحقق حكمه ومملكته فينا الآن وإلى الأبد »[١] .

---

(١) المصدر السابق .H.G. Lukach, pp.198-199

شبتاي ملكاً

ليس المسيح في الفكر الديني اليهودي نبياً فقط بل إنما هو ملك أيضاً له ما للملك من سلطة دنيوية ولذلك عندما يجعل شبّتاي من نفسه ملكاً أو يجعله أتباعه كذلك فإن ذلك يبدو عملاً طبيعياً يتفق وما يجب أن يكون عليه المسيح فعندما وصل شبّتاي إلى أزمير نفخ اليهود بالبوق وخرجوا إلى الشوارع ينادون عاش ملكنا عاش مسيحنا(١) .

وأصبح الدعاء له في المعبد اليهودي ليس على أنه المسيح فقط بل على أنَّه ملك أيضاً . وكانت الرسائل التي ترسل له تضفي عليه نعوتاً أحدها نعت الملك .

ومن الرسائل التي يجب أن تذكر هنا رسالة المتنبىء ناثان . هذه الرسالة التي لها أكثر من مدلول فهي بالإضافة إلى إضفائها الألقاب على شبّتاي قد تعكس لنا صدق الأخبار التي تحدثت عن التأييد العام بين اليهود لدعوة شبّتاي كما أنها تبين لنا مدى تفاني ناثان في قضية هذه الدعوة والترويج لها . وفيما يلي نص الرسالة :

« إلى ملك ملكنا سيد السادة الذي سيجمع شتات إسرائيل والذي سينقذنا من أسرنا . الإنسان الذي ارتفع إلى أعلى منزلة مسيح ربّ يعقوب . المسيح الحق الأسد السماوي شبتاي صُبّي الذي سيرتفع مقامه ويعم حكمه إلى الأبد آمين .

---

(١) H.Graetz, Popular History of the Jews , vol,5 p.163.

بعد تقبيل يديكم وإزالة التراب عن قدميكم الذي هو واجبي نحو ملك الملوك الذي سيعلو جلاله وتعظم مملكته أود أن أخبر مقامكم الذي زيّن بجمال قدسكم إنَّ كلمة الملك وتوراته قد أنارت وجوهنا وهذا اليوم هو يوم قدس لإسرائيل وهو يوم نور لحكامنا . ونحن سوف نقوم بتطبيق أوامركم كواجب علينا .

ومع أننا سمعنا عن أشياء غريبة فإننا ثابتون وقلوبنا لا تتزعزع وليس من حقّنا أن نبحث عن أسباب أعمالكم التي تقومون بها لأنها اعمال خارقه ونحن بلا استثناء وبكل إخلاص نسلم أنفسنا لإسمكم المقدس .

ونحن الآن قد وصلنا إلى دمشق وعن قريب سنذهب إلى الاسكندرونة كما أمرتنا من أجل أن نعرج إلى السماء لنرى وجه الإله النير لنرى نور وجه ملك الحياة .

ونحن عبيد عبيدكم نمسح التراب عن أقدامكم ونلتمس من جلالكم وعظم مقامكم وعلو مكانكم أن تتلطفوا علينا من مقرّكم بالعناية فينا ومساعدتنا بقوة يدكم اليمنى وأن تقصروا طريقنا الذي أمامنا فإنه عيوننا محدقة نحو يهوه الذي تصبو قلوبنا نحوه والذي ذوت قلوبنا فينا من أجله والذي سوف يسرع بمساعدتنا ويحمينا من شرور أبناء الظلم والجور . . .

هذه هي كلمات خادم خدامكم الذي ينبطح أمامكم من أجل

أن تدوسوا عليه بباطن قدميكم »[1] .

وكان الدعاء الذي يدعى به له في معبد همبورغ اليهودي على الشكل التالي :

« اللهم يا ناصر الملوك وصانع الأمراء بارك لنا حاكمنا الملك الصالح شبّتاي صبّي مسيح ربّ يعقوب »[2] .

أما الدعاء الذي كان يقرأ في تركيا في المعابد اليهودية والذي حلّ محل الدعاء للسلطان العثماني فكان على الشكل التالي :

« إن الذي يمنح الخلاص للملوك والحكم للأمـراء ، مالك الملك الأبدي ، الذي خلص عبده داود من السيف القاتل ، الذي يعبّد طرقاً في البحر ، ويشق سبلاً في المياه العظيمة ، هو الذي يبارك ويحفظ ، ويرعى ، ويرفع إلى الأبد ، سيدنا ومسيحنا ، مبارك ربّ يعقوب الأسد والإيّل السماوي ، مسيح العدل ، ملك الملوك ، السلطان شبّتاي صبّي . ليحفظه الملك الأكبر ويمنحه حياة ، وليرعه ، ويرفع نجمه ، ومملكته ، ويجعل قلوب الملوك والأمراء تتجه نحوه ونحونا ونحو إسرائيل بالخير آمين »[3] .

وقسم شبّتاي أقطار الأرض وعين لها ملوكاً من اليهود وكان هؤلاء يمثلون ملوك يهودا وإسرائيل فأحدهم كان يمثل داود والآخر

---

(١) المصدر السابق. H.G. Lukach pp.196-197.

(٢) S.Dubnov, History of the Jews, vol,4 p.68.

(٣) G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.424.

مثل سليمان والثالث عزيا والرابع يهوشناط وهكذا . وبالنسبة إلى أخويه فكل واحد منهم أعطي له نصف الأرض وأصبح ملك ملوك ؛ فأخوه أليشع صبّي أصبح ملك ملوك إسرائيل ويوسف صبّي أصبح ملك ملوك يهودا . ثم عين لكل واحد منهما نائباً وأطلق على زوجته سارة ملكة فلسطين(١) .

ومن طريف القول ما يذكر هنا أنَّ رجلاً معوزاً كان يعيش على الصدقات عينه شبّتاي واحداً من هؤلاء الملوك فعرض عليه أحد الأغنياء اليهود مبلغاً ضخماً من المال لكي يتنازل له عن مملكته لكنه رفض(٢) .

وعندما سئل شبّتاي عن موقف أتباعه من اليهود غير المؤمنين به كان جوابه (أو جواب صموئيل فريمو) أنهم يجب أن يقتلوا دون تردد حتى في يوم السبت ومن يقتلهم فإنه يثاب على عمله وتلحقه بركة دائمة(٣) .

وكان شبّتاي يوقع رسائله بألقاب مثل « إبن الله البكر » و « أبوكم إسرائيل » وكذلك « أنا الربّ إلهكم شبّتاي حبي » وقد أثار هذا اللقب الأخير ردود فعل لدى اليهود المعارضين ولكنهم كانوا عاجزين عن فعل شيء .

---

(١) المصدر نفسه G.Scholem, p.427.

(٢) المصدر نفسه S.Dubnov, vol,4, p.66.

(٣) المصدر نفسه H.Greatz , vol,5, p.73.

وأخذ أتباعه يشيرون له بعباره « ادينونو ملكينو يروم هودو » (سيدنا وملكنا جلّ جلاله) . وقد حملت بعض الكتب اليهودية التي طبعت هذه الفترة مع عبارة « شبّتاي صبّي ملك إسرائيل مسيح رب يعقوب » عبارة « ألسَّنة الأولى من تجديد النبوة والمملكة »[1] .

وعده لليهود بالسلطة

بعد أن أعطي شبّتاي لقب ملك أخذ يعد اليهود بالنصر القريب وتحقيق دولتهم التي سيحكمون العالم من خلالها وكان يكتب الرسائل للجاليات اليهودية في العالم بهذا الخصوص . ومن الرسائل التي كتبها الرسالة التالية :

« من الإبن الوحيد ابن الله البكر شبّتاي صبي المسيح المخلّص إسرائيل ، كل بني إسرائيل سلام :

لأنكم أخترتم لرؤية يوم الخلاص العظيم ورؤية إنقاذ إسرائيل وتحقيق كلمة الله التي وعد بها على لسان أنبيائه وأجدادنا من خلال حبيبه إبن إسرائيل فلتكن إذن أحزانكم سروراً وصيامكم أعياداً لأنكم سوف لا تبكون بعد هذا .

يا أبنائي يا بني إسرائيل إنَّ الله أعطاكم هذا الإطمئنان العظيم فلتضربوا بالدفوف فرحاً وطرباً واشكروه لأنه حقق وعده الذي وعده

---

(١) دائرة المعارف اليهودية مادة : Shabbatai Zevi.

كم منذ القدم ولتكن أعمالكم في كل يوم كتلك التي تعملونها عند اوّل كل شهر جديد . وكل يوم مخصص للحزن والآلام اجعلوه يوم فرح وسرور لأنه يوم ظهوري ولا تخافوا شيئاً لأنه سوف تكون لكم سلطة على كل الشعوب وسوف لا تكون سلطتكم على من في الأرض فقط بل كذلك على المخلوقات التي هي في أعماق البحار . كل ذلك من أجل ترضيتكم وإدخال السرور على قلوبكم »[١]

وقد كان لهذه الرسائل وقع كبير في نفوس اليهود في العالم شرقه وغربه فكانوا ينظرون إلى المسيحيين بعين الإحتقار ويهددونهم بمسيحهم قائلين لهم سوف نزيح قيودكم عن رقابنا وعن قريب أيضاً سنكون أحراراً في وطننا وسوف نكون لكم سادة .

وكان الإعتقاد لدى عامة اليهود أنَّ خلاصهم الذي يأملون سيكون خلال سنتين على أكثر تقدير ولذلك كسدت التجارة في المراكز التجارية التي يسيطر عليها اليهود حيث كانوا ينتظرون التغيير العظيم[٢] .

وقد وصفت إحدى اليهوديات التي عاصرت هذه الفترة الوضع في هامبورغ بقولها :

« ليس من الممكن وصف فرحنا عندما كنّا نتسلّم الرسائل (من تركيا) فقد كان اليهود السفارديم يتسلمونها وكانوا يجلبونها إلى

---

(١) المصدر السابق .H.C. Lukakh, p.204

(٢) H.Graetz, pupolar History of the Jews, vol.5, p.173.

المعبد اليهودي وتقرأ بصوت عال هناك بحضور اليهود الأشكنازيم صغاراً وكباراً . وكان السفارديم يلبسون أحسن الملابس وأجملها ويحلّون أنفسهم بحزام من حرير أخضر هو شعار شبّتاي صبّي ويخرجون في الشوارع يرقصون على ضرب الطبول كما كانوا في الأيام القديمة في عصر الهيكل (اليهودي) وقد باع بعضهم ما يملكون انتظاراً للخلاص يوماً بعد يوم »[١] .

وذكر أحد الحاخامين المعارضين لشبّتاي عما كان يحدث في أمستردام بين اليهود فقال :

« كان الناس يرقصون على ضرب الدفوف وكانت نسخ التوراة قد جددت أغطيتها يحملها اليهود ويطوفون بها في الشوارع وكانت أخبار المسيح تقرأ على الناس دون خوف من المسيحيين » .

وكان اليوم الذي تأتي فيه رسالة من شبّتاي يوم عطلة عند اليهود في هذه المدينة[٢] .

وفي بولندا خرج اليهود في مظاهرات فرح يحملون صور شبّتاي وكانت هذه المظاهرات قد أثارت غضب المسيحيين فأوذي اليهود فاشتكى هؤلاء إلى الملك جان كسيمير فأصدر هذا مرسوماً حول هذه الحوادث ومنع اليهود من حمل صور شبّتاي[٣] .

---

(١) المصدر السابق .Dubnov, vol.4, p.62-64

(٢) المصدر السابق .H.Graetz, vol.5, p.173

(٣) المصدر السابق .Dubnov, vol.4, p.65

وقد ذكر جاليـوتوفسكي وقد كان معاصراً لهذه الفترة في كتابه « المسيح الحق » المطبوع (عام ١٦٦٩م) ما نصه :

« لقد ترك اليهود بيوتهم وأموالهم ورفضوا أن يقوموا بأي عمل وادعـوا بأنَّ المسيـح سوف يـأخذهـم إلى أورشليم على السحاب »[١] .

وذكر آخرون أنَّه في إيران خرج اليهود إلى الحقول وتركوا أعمالهم ينتظرون الذهاب إلى أورشليم مع مسيحهم وعندما طولبوا من قبل الدولة أن يدفعوا ما عليهم من حقوق قالوا بأنَّهم سيعطونها إلى مخلصهم المسيح .

وفي تركيا كان اليهود يخرجون أثناء الليل حاملين الشموع ينادون باسم شبّتاي وكانوا يقرأون المزمور الواحد والعشرين في المعبد ثلاث مرات في اليوم صباحاً وعصراً وليلاً . وقد حفر هذا المزمور في أحد المعابد علـى الخشب وأحيط بتاج كتب عليه تاج شبّتاي صبّي . وقد أصبح هذا المزمور ذا معنى خاص عند أتباع شبّتاي لا لأنه يتحدث عن المخلّص فقط بل لأنَّ عبارة عبرية وهي بيشوعتخ (بخلاصك) تساوي الرقم (٨١٤) وهو نفس الرقم الذي يساوي إسم شبّتاي صبّي بحساب الجمل[٢] .

وكانت الجالية اليهودية في همبورغ تريد أن ترسل إلى شبّتاي

---

(١) المصدر السابق .Dubnov, vol.4, p.64

(٢) .G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.424

رسالة لغرض ما فتوقفت عن ذلك معتقدة بأن المسيح سيكون في فلسطين قبل أن يصلهم الجواب ولذلك أرسلوا له رسلاً ومعهم رسالة جاء فيها :

« نأمل من سيدنا وملكنا أن يخبرنا أي طريق يجب أن نسلكه وهل يجب أن نتهيأ الآن إلى مقصدنا من أجل أن نسجد عند قدميك وننفض التراب عنهما أو أننا يجب أن ننتظر رحمة الإله إلى يوم يجتمع فيه بنو إسرائيل كلهم » . وكان أحد الموقعين على هذه الرسالة فيلسوف معروف بين اليهود إسمه بنيامين موسيفا[١] .

وكانت الجالية اليهودية في بريطانيا لا تختلف عن الجاليات الأخرى في العالم فقد تأثرت بهذا الجو العام كما تأثرت تلك وسرت بينها الإشاعات الكاذبة وانتشرت الأخبار غير الصادقة . ومن تلك الإشاعات التي صدقها يهود بريطانيا تلك التي ذكرت أنَّ سفينة أشرعتها وحبالها من حرير يقودها ملاحون لا يعرفون غير العبرية لغة مرفوع عليها علم كتب عليه « أسباط إسرائيل الإثنا عشر » كانت قد رست في أحد موانىء أسكتلندا . وقد أخذ اليهود في هذا البلد يراهنون بأموال كثيرة على أن شبّتاي سيكون ملكاً في فلسطين خلال سنتين وفي إيطاليا تهيأ اليهود للنزوح إلى فلسطين في ربيع تلك السنة[٢] .

---

(١) Dubnov, History of the Jews, vol.4, p.69.

(٢) H. Graetz, Pupolar History of the Jews, vol.5,pp. 167-8.

وليس اليهود وحدهم قد وقعوا تحت هذا التأثير بل إنَّ بعض المسيحيين أصابهم شيء من ذلك أيضاً ، فقد ذكر بأنَّ المسيحيين البروتستانت في همبورغ سألوا القسيس أسترداس ادزردوس عما يجب أن يعملوه وهم يسمعون أخباراً مؤكدة من أزمير ليس من اليهود فقط بل من المسيحيين أيضاً بأن شبّتاي صبّي يُري الناس معجزات كثيرة وقد اجتمع حوله يهود العالم وتساءلوا فيما إذا كان معتقدهم صحيحاً أم لا[١] .

وقد طبعت كتب صلوات يهودية جديدة عليها صورة شبّتاي والنبي داود وقد كان الطلب عليها كثيراً جداً .

واستجابة لدعوة شبّتاي وناثان اليهود إلى التوبة أخذ هؤلاء يتوبون بشكل علني وجماعي وقد اتخذت طرق التوبة أشكالاً مختلفة ذكرها معاصرو الحركة .

فقد كان بعض اليهود يتجردون من ملابسهم ويحفرون حفراً في حدائقهم ويدفنون أنفسهم فيها إلى رقابهم إلى أن تأثرت أجسامهم بذلك أو يرمون بأنفسهم في المياه المتجمدة في الشتاء .

وقد ذكر أنَّ أحدهم صام سبعة أيام متواصلة دون أكل أو شرب إلى أن مات ومنهم من صبّ على جسمه شمعاً حاراً .

وكان من الطرق الشائعة هي وخز الظهر والكفل وخزاً شديداً

---

(١) المصدر نفسه .H.Graetz, vol.5, p.173

ثم الضرب عليهما بالسياط[1] ، ومنهم من كان يبقى يقظاً لفترة طويلة دون نوم[2] وغيرها من الطرق الأخرى التي ليس من غرضنا أن نأتي عليها كلها .

وأعلن شبّتاي لأتباعه بأنه سيذهب إلى القسطنطينية وقال لهم بأنَّ الله قد دعاه للذهاب إليها لإتمام الجزء الأخير والأهم من مهمته . ونحن لا ندري ماذا كان يدور في خلد شبّتاي وماذا كانت حقيقة أهدافه . فهل كان يعتقد بأنَّ معجزة ما ستحدث ؟ أم أنه كان يرى بأنَّ السلطان محمد الرابع سيكون رجلاً صاغراً أمامه مطيعاً لما يقوله ويأمره به بسبب التأييد العام لادّعائه من قبل اليهود في العالم ؟ أم أنَّ شبّتاي كان رجلاً يعيش تحت تأثيرات نفسية معينة رفعته إلى أن يقوم بما قام به ؟ إننا في الحقيقة لا نملك الدليل الذي يثبت صحة أيّ من هذه الإحتمالات سوى القول بأنَّ شبّتاي كان أحياناً ـ كما ذكرنا ـ يسلك سلوكاً غريباً ويقوم بأعمال غريبة وقد يكون ذهابه إلى القسطنطينية جزءاً من سلوكه هذا .

دخوله السجن

ركب شبّتاي البحر في كانون الأول عام (١٦٦٥ م) أو في كانون الثاني عام (١٦٦٦ م) مع عدد قليل من أتباعه قاصداً القسطنطينية وكان الكثير منهم قد ذهب برّاً إليها ليكونوا في

---

(١) المصدر السابق .H.C.Lukach , p.201

(٢) المصدر السابق .H.Graetz, vol.5, p.164

استقباله . وكانت الرحلة في المعتاد تستغرق بضعة أيام ولكن هياج البحر آنئذٍ جعل الرحلة تستغرق ٣٩ يوماً . وكان الوزير أحمد كوبرولو يعلم بمجيء شبّتاي إلى العاصمة وكان عازماً على سجنه فأرسل مجموعة من الجنود للقبض عليه حيث توقف مركبه . وعندما سأله الضابط عن شخصه أجاب شبّتاي بأنه رجل دين من أورشليم جاء إلى العاصمة لجمع الصدقات لفقراء فلسطين وأمر الوزير بوضعه في السجن وكان سجناً صغيراً مظلماً .

ويبدو أن ذلك لم يؤثر على أتباعه فقد احتفلوا بقدومه في الشوارع وقالوا بأنَّ سجنه شيء طبيعي لأنه جزء من تحقيق مهمته ونبوءته حيث أنَّ المسيح المخلّص يجب أن يعاني ويتألم قبل أن يتحقق مجده وتظهر عظمته لجميع البشر .

وبدأ اليهود من أتباعه يذهبون لزيارته في السجن صغيرهم وكبيرهم يظهرون له الطاعة والتأييد وكانوا يقفون صفوفاً خارج السجن من أجل ذلك . وقد ذكر بهذا الصدد أن مجموعة من أثرياء يهود العاصمة دخلوا على شبّتاي وبقوا لفترة طويلة مطأطئي الرؤوس لا يرفعون بصرهم إليه[١] .

وظل شبّتاي في هذا السجن لفترة شهرين . ولما كان الوزير على وشك الذهاب في حملة عسكرية ، وكان السلطان وقتها في مدينة أدرنة ، رأى بأنه ليس من الحكمة إبقاء شبّتاي في العاصمة مع

---

(١) المصدر السابق .H.C. Lukach p.212

وجود هذه الإضطرابات بين اليهود . فنقل شبّتاي إلى قلعة في جزيرة غاليبولي على الدردنيل وهي قلعة غالباً ما كانت تأوي السجناء السياسيين . وقد أطلق أتباعه فيما بعد على هذه القلعة مجدل عُز التي تعني برج القوة[1] .

وكان شبتاي يعد الوافدين عليه بالنصر ويحثّهم على الصبر ويمنيهم بالكثير عندما يذهب منتصراً إلى فلسطين .

وأخذ يبعث برسائله التي تتضمن ذلك إلى الجاليات اليهودية مع الوفود التي تأتي لزيارته . ومن هذا السجن أخذ يشرع بعض التشريعات الجديدة ـ حيث أنَّ المسيح له الحق في ذلك ـ وكان من هذه إلغاء بعض أيام الصيام المهمة عند اليهود : مثل إلغاء صيام العاشر من شهر طبت . وكذلك إلغاء صيام اليوم السابع عشر من تموز بل حتى صيام اليوم التاسع من آب وتحويله إلى يوم عيد إذ أصبح هذا اليوم عيداً لميلاده له شعائره الخاصة به التي وضعها شبّتاي بنفسه .

وسنتحدث عن هذه الشعائر في موضوع أعياد الدونمه . ومن الشعائر التي أمر بها شبّتاي هي شعيرة زيارة قبر أمّه والصلاة عندها وقال لهم بأنَّ زيارة قبرها تعادل الذهاب إلى أورشليم والتضحية فيها[2] .

---

(١) وهذا مأخوذ من سفر الأمثال ١٨ / ١٠ حيث جاء فيه ما ترجمته «إسم الرب برج قوة يركض الصالح إليه ويتحصن به» .

(٢) المصدر السابق .H.C.Lukach, p.218

وعندما نقل إلى هذا المكان أخذ أتباعه يؤكدون للناس بانه المسيح حقاً لأن الحكومة العثمانية لم تتعرض له مع أنه قد ادّعى أن يأخذ السلطان العثماني أسيراً وأخذ اليهود يفدون عليه من أنحاء كثيرة من العالم ممثلين عن الجاليات أو قاصدين زيارته . وقد ازدحمت البواخر التي تنقل اليهود بشكل لم يكن مثله في هذه المنطقة . وقد استفاد السكان المحليون من ذلك فازدادت أجور البواخر كما ازدادت أسعار الأطعمة وأجور السكن وانتفع الكثير من الناس من قدوم اليهود بهذا الشكل غير المتوقع .

وقد تبرع له أخواه وتجار يهود آخرون بأموالٍ كثيرة أعطي قسم منها للمسؤولين عن حراسته من أجل أن يوسع عليه ويرفه عنه وسمح لزوجته وكاتبه الخاص أن يتخذا لهما سكناً معه وأصبح له مجلس كمجلس الأمراء لا يدخل عليه إلّا بإذن مسبق وينتظر الذين يُريدون أن يمتعوا أنفسهم برؤيته أياماً من أجل ذلك وأخذت زوجته تسلك سلوك الأميرات مع القادمين عليها والقادمات[1] .

وعلى الرغم من كل هذا التأييد من الجاليات اليهودية فقد كان هناك حاخامون يعتقدون بأنَّ شبتاي كان دجالاً وأنَّ ادّعاءه خروج صريح على اليهودية وأنَّ عمله سيؤدي إلى الإضرار بمصالح اليهود في تركيا وفي غيرها من الدول التي تضم جاليات يهودية ولكن هؤلاء الحاخامين كانوا يخشون أن يرفعوا أصواتهم خشية أن يمسهم أذى

---

(١) H.Graetz, pupolar History of the Jews vol.5, p.172.

من العامة من اليهود كالذي حدث لبعضهم فقد ذهب مرة أحد هؤلاء المعارضين إلى القاضي يخبره برفضه لادّعاء شبّتاي وما يقوم به من أعمال وعند ما سمع أتباع شبّتاي ذلـك لفقوا ضده تهمة عند القاضي وحلقوا لحيته وعذّبوه[1] .

وكان حاخام إزمير أيضاً من المعارضين لما كان يدّعيه شبّتاي فأجبره أتباع هذا الأخير على ترك منصبه ومغادرة المدينة[2] .

وكان أحد الذين قدموا على شبّتاي لزيارته حاخام بولندي معروف مشهور بين اليهود إسمه نحميا كوهن ويبدو أنَّ هذا الحاخام خطط قبل القدوم على شبتاي أن يناقشه في موضوع المسيح وشروط ظهوره وقد بقي نحميا كوهن مع شبتاي في السجن لثلاثة أيام وقد ذكر بأنَّ شبتاي وخصمه كانا يقضيان الوقت في النقاش وقليلاً ما كانا ينامان ويأكلان وقد تركز النقاش كما ألمعت على شروط ظهور المسيح وأوصافه في ضوء المعتقد اليهودي .

وكانت وجهة نظر نحميا كوهن أنَّ ما ذكره علماء اليهود بالنسبة إلى المسيح لا ينطبق على شبتاي .

فإنَّ من شروط المسيح المخلّص الذي يجب أن يكون من نسل داود ـ كما ذكرت في التمهيد ـ أن يظهر قبله مسيح آخر هو من نسل يوسف من قبيلة أفرايم ، ويجب أن يخوض هذا الأخير حروباً

---

(١) المصدر السابق .H.C.Lukach pp.219- 220

(٢) المصدر السابق .Dubnov,vol.4, p.68

فينتصر على أعدائه أولاً ثم يسقط قتيلاً في آخر المعارك على أبواب أورشليم وبعد أن تبقى بقية من الشتات اليهودي يظهر النبي إلياهو ويعلن عن مجيء المسيح بن داود الذي سيجمع اليهود من أنحاء الأرض وينتصر على أعدائه. وعلى هذا ـ كما قال نحميا كوهن ـ فإنَّ ادّعاء شبتاي بأنَّه المسيح بن داود غير صحيح لأنَّ المسيح بن يوسف لم يظهر بعد.

وقد ادّعى نحميا كوهن كما قيل بأنَّه هو المسيح بن يوسف. وقد ناقشه شبتاي في كل ذلك وجاءَ له بالكتب التي تؤيد ما يقوله هو. ومن جملة ما ذكره شبتاي أنَّ المسيح بن يوسف قد ظهر وقتل في مذبحة جميلينسكي في بولندا في عام (١٦٤٨ م). ولكن نحميا كوهن ظل رافضاً لمدّعى شبتاي واتهم من قبل اتّباعه بأنه عدو للمسيح. وخشية أن يصيبه مكروه مثل ما أصاب غيره من الحاخامين المعارضين أظهر نحميا كوهن إسلامه أمام حرس القلعة وحفظ بذلك نفسه من الأذى.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد فقد عقد هذا الرجل العزم على إفساد الأمر على شبّتاي وذلك بالذهاب إلى السلطان الذي كان يقيم وقتها في أدرنة، وإخباره عن خطر ما يدّعيه شبتاي. فذهب هو وبعض الحاخامين المعارضين لشبتاي إلى هناك لإبلاغ السلطان عن ذلك. فالتقوا في أدرنة القائمقام مصطفى باشا الذي كان نائباً للوزير الذي كان يومها في حملة عسكرية.

ويقال بأنَّ نحميا ورفاقه قد اجتمعوا بالسلطان أيضاً وأخبروه

عن شبتاي وعن تاريخ حياته وأنّه رجل فاجر منغمس في الملذات يحاول أن يغير من حياة اليهود التي هم عليها ، ويغير من طاعتهم للسلطان ، ويشجعهم على الثورة ضد الدولة ، وأنه يجب التخلّص منه ومن شروره .

وكان السلطان على علم قليل بشبتاي وما قام به . وما أن علم بهذه الأخبار حتى أمر أن يؤتى بشبتاي إلى أدرنة في أسرع وقت[1] .

تظاهره بالإسلام

وجيء بشبتاي على عجل إلى أدرنة وكان بصحبته بعض الحاخامين المؤيدين له وفي طريقه إلى القصر أخبر شبتاي هؤلاء بأنّ الخوف يعتريه من مقابلة السلطان فعجبوا من تغير وضع شبّتاي الذي كان يتحدث بالأمس القريب عن سقوط الدولة العثمانية وتسلمه الحكم .

وأُدخل شبتاي إلى غرفة كان فيها السلطان وحاشيته ، وكان من بينهم مفتي الدولة ، وطبيب السلطان الخاص جدعون الذي كان يهودياً ثم أظهر إسلامه . وعندما وجهت إليه الأسئلة وكانت باللغة

---

(١) انظر : G.Scholem, Sabbatai Sevi.
و S.Dubnov, History of the Jews, vol.4, pp.71-73.
و H.C.Lukach, The city of Dancing Dervishes pp.230-231.

التركية طلب أن تترجم من قبل جدعون[1] وقد تمَّ لشبّتاي ذلك ولكن أجوبته لم تكن مقنعة للسلطان . واقترح عليه السلطان أن يختبر صحة مدعاه وذلك بأن يجرد شبتاي من ملابسه ثم يجعل هدفاً للسهام فإذا لم تثقب السهام جسمه فهو صادق فيما يدّعي وإذا ثقبته فهو إذن رجل كاذب ودجال . وعندما سمع شبتاي ذلك أنكر أن يكون المسيح وقال عن نفسه بأنه مجرّد حاخام يهودي فقير وليس له مزايا على غيره ولا فضائل أكثر من الآخرين ولكن السلطان لم يصدقه ، ولم يقبل ذلك منه . وقال له بأنّه قد أثار القلاقل والإضطرابات في الدولة العثمانية ، وأنه كان يريد أن ينتزع جزءاً منها وهو أرض فلسطين ، ولذلك فإنه يجب أن يعاقب على ذلك . وعندها عُرض على شبتاي الإسلام ـ ويقال بأنَّ طبيب السلطان الخاص هو الذي دبّر هذا الأمر ـ كان جوابه بأنه يسعده أن يكون مسلماً اختياراً ودون إكراه من أحد . وقال بأنَّ له رغبة في هذا الأمر منذ زمن وأنَّه يتشرف أن يشهر إسلامه أمام السلطان . وأظهر شبتاي إسلامه أمام الحاضرين وقبل منه السلطان ذلك[2] . فأدخل الحمام وأُبدلت ثيابه ولبس العمامة وأُعطي إسماً إسلامياً وهو محمد عزيز أفندي[3] وأُعطي لقباً تشريفياً وهو قابجي باشي (حارس أبواب

---

(١) ويقال بأن اسمه كان اسحق زفيري أو موسى بن رفائيل وإن اسمه الإسلامي كان مصطفى حياتي زادة . انظر G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.675.

(٢) المصدر السابق H.C.Lukach pp.230-231.

(٣) أو عزيز محمد أفندي .

القصر)[١] وخصص له راتب شهري وعين له أستاذ يدرسه اللغة العربية وأصول الإسلام وقد أظهرت زوجته سارة إسلامها بعد ذلك وكان ذلك في نهاية عام (١٦٦٦ م) .

وقد انتشر خبر إظهار شبتاي لإسلامه بسرعة بين اليهود والأتراك على السواء وأصبح أتباعه خاصة واليهود عامة أضحوكة عند غيرهم . وكان ما حدث صدمة كبيرة لأتباعه وهزة عميقة لهم لأنهم كانوا يتوقعون أحداثاً غير طبيعية عندما ذهب شبتاي إلى السلطان وقد كانوا ينتظرون ذلك وإذا بهم يسمعون بأنَّ شبتاي يظهر إسلامه !

وكانت ردود الفعل مختلفة لدى أتباعه والمقربين منه :

فكثير منهم ارتدوا على أعقابهم وكفروا به ، وآخرون تريثوا ليروا جلية الأمر وحقيقته . وقد بدأ ناثان المتنبىء وفريمو كاتب شبّتاي الخاص يعطون تفسيرات لما حدث ويؤكدون لأتباعه بأنّه ما زال هو المسيح المخلّص .

فقد عزي لناثان أنَّه قال مرة بأنَّ ما حدث سرّ من الأسرار عميق لا يعرفه أحد وسيكشف عنه في الوقت المناسب ونسب له أيضاً بأنَّه قال بأنَّ شبتاي دخل عالم الجوييم[٢] لا من أجل أن يخلّصهم بل من أجل أن يحطمهم تماماً .

---

(١) G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.681.

(٢) كلمة عبرية (جمع جوي) أطلقها اليهود على غيرهم من الشعوب . والمفرد جوي يطلق أيضاً على اليهودي غير الممارس لليهودية .

أما فريمو فقد قال بأنّ كل شيء حدث كما يجب أن يحدث وكما هو مقدر له . فإن تظاهر شبتاي بالإسلام يثبت بأنّه هو المسيح المخلّص كما أنّ موسى المخلّص الأول قد عاش في قصر فرعون متّبعاً دين الفراعنة ظاهراً ومبطناً ديناً آخر فكذلك شبتاي تحول في الظاهر إلى الإسلام وباطناً هو طاهر نقي[١] . وقد أصبح هذا التفسير والتأويل ذا أثر فعّال بين مؤيدي شبتاي ومناصريه .

وقال بعضهم بأنّ ما فعله شبتاي إنما هو خاص به ولا يجوز أن يسأله أحد عنه .

ومنهم من رأى بأن شبتاي قد أخفى نفسه في تلك اللحظة إلى أن تأتي الظروف الملائمة لتحقيق مهمته العظيمة .

وبعضهم قال بأنّ شبتاي كان قادراً على صنع المعجزات إلّا أنّ الشر كان من القوة بحيث لم يتمكن من التغلّب عليه فأظهر الإسلام[٢] .

وكان من هذه التفسيرات أنّ روح شبتاي وجسمه الحقيقيين قد صعدا إلى السماء وبقي ظله يمشي على الأرض وعلى رأسه عمامة مثل المسلمين ، وسوف ينزل إلى الأرض في الوقت المناسب لتحقيق مهمته وإظهار العجائب والمعجزات[٣] .

---

(١) H.Graetz, pupolar History of the Jews, vol.5, pp.177-8.

(٢) G.Scholem, Sabbatai Sevi, pp.694ff.

(٣) المصدر السابق H.Lukach, p.232.

وقد وجد الحاخامون المعارضون لحركة شبتاي والرافضون لها في إظهار إسلامه فرصة للهجوم عليه وعلى أتباعه فتحركوا ضده ، وأرسل الحاخامون الكبار في تركيا ، رسائل إلى الجاليات اليهودية ورجال دينها ، يطلبون منهم إلغاء الصَّلوات والمزامير والأدعية ، التي كان يقرؤها أتباع شبتاي ، في المعابد اليهودية ، بل ومعاقبة كل من يجرأ على قراءتها ، وأمروا رجال الدين ، في هذه الجاليات ، أن يطردوا من اليهودية من بقي على الإيمان بشبتاي .

أما بالنسبة إلى شبتاي فقد بقي في أدرنة ومعه بعض أتباعه والمؤيدين له . ومنهم ممثلو قبائل أسرائيل الإثنتي عشرة . وكان هؤلاء قد أظهروا الإسلام كما أظهره هو .

وبدأ هؤلاء الأتباع ومعهم ناثان المتنبىء يطورون فكرة السلوك المزدوج ويعطونه تبريرات قبّالية . وبدأ شبتاي أيضاً يسلك سلوكاً مزدوجاً فكان يقول للمسلمين بأنّه لا علاقة له بالمسيح المخلّص وفي نفس الوقت يخبر أتباعه والمؤمنين به بأنَّ خلاصهم من أيدي الظالمين قريب وما عليهم إلاَّ الصبر وانتظار الفرج .

وقد تحدث أحد المعاصرين لشبتاي عن سلوكه بقوله :

« كان شبتاي يسلك بشكل طبيعي سلوك الحاخام اليهودي ولكن في أحيان أخرى يسلك سلوك المسلم مع القيام بأعمال غريبة »[1] .

---

(١) G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.823.

وذكر عنه أيضاً بأنّه كان يضع التوراة في يد والقرآن في اليد الأخرى ولكنه عندما كان يؤدي الصلاة كان يتهيأ لها بطريقة يهودية .

ومن غريب ما تتحدث عنه المصادر حول سلوكه في هذه الفترة بأنّه كان يذهب إلى المعبد اليهودي ويطلب من اليهود أن يتحولوا إلى الإسلام .

وقد أخذ مرة مجموعة من اليهود الذين أظهروا الإسلام وذهب إلى المعبد اليهودي وقال لليهود هناك :

إنهم إذا لم يتبعوا الإسلام فإنه سوف لا يتمكن من خلاصهم وقيادتهم إلى أورشليم . وقد قاد الصلاة بنفسه مرة وقرأ من التوراة ثم خطب خطبة طويلة ذكر فيها أنَّ المتناقضات في التوراة والتلمود يمكن إيضاحها من خلال فكرة المسيح وفي نهاية خطبته أبرز نسخة من القرآن وقرأ بعض الآيات منه[1] . وقد طلب مرة من مجموعة من الحاخامين اليهود أن يأتوا إليه ويعلنوا إسلامهم فطلب هؤلاء أن يكون هناك مجلس نقاش بينهم وبين شبتاي بحضور الوزير التركي فإذا أقنعهم شبتاي بادّعائه فسيتحولون إلى الإسلام وتم اللقاء وبعد مناقشات طويلة أظهر اثنان منهم الإسلام ورفض الباقون[2] .

وكان بعض اليهود من أتباعه من العراق وفلسطين وأماكن

---

(١) المصدر نفسه .G.Scholem, p.847

(٢) المصدر نفسه .G.Scholem pp.849-850

أخرى يعلنون إسلامهم بحضرة السلطان[١] .

وصحب مرة اثني عشر رجلاً وخمس نساء من أتباعه إلى قصر السلطان ليعلنوا إسلامهم وبعد أن تم ذلك أمر لهم السلطان ببعض المال ولكن شبتاي لم يقبل ذلك مدّعياً بأنَّ إظهار الإسلام من قبل هذه المجموعة إنما كان عن عقيدة ولذلك فهم لا يحتاجون إلى مكافأة مالية على ذلك[٢] .

وقد بقي أتباع شبتاي لا يظهرون إسلامهم في البداية أمام الأتراك المسلمين حتى لا يثيروا غضبهم ولا أمام اليهود حتى لا يطردوهم من اليهودية . ولما زال خوفهم بعد ذلك بسنوات أخذوا يتظاهرون بالإسلام أمام الناس .

نفيه إلى ألبانيا

كان الحاخامون المعارضون يحسون بخطر شبتاي لأنَّ حركته بقيت حية نشيطة وإن أغلب أتباعه لم يتخلوا عنه حتى بعد تظاهره بالإسلام بل إنَّ منهم من تظاهر بالإسلام كما رأينا . فأخذ هؤلاء الحاخامون يكتبون إلى الجاليات اليهودية في تركيا وفي غيرها ولكن هذه الرسائل لم يكن لها تأثيرها المطلوب . فعزموا على الإتصال بمسؤول حكومي يخلصهم من شبتاي وكان هذا المسؤول هو

---

(١) المصدر السابق .H.C.Lukach, p.244

(٢) المصدر السابق .G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.847

البستانجي باشي (قائد حرس القصور والحدائق) ويقال بأنَّ الحاخامين قد أغروه بمبلغ كبير من المال[1] وطلبوا منه أن يدبّر أمر سجن شبتاي ووعدهم بذلك .

وعندما جاء شبتاي من أدرنة إلى القسطنطينية في الشهر الثامن من عام (١٦٧٢ م) مع مجموعة كبيرة من أتباعه الذين أظهروا إسلامهم تركت له الحرية لبضعة أسابيع يؤدي الشعائر اليهودية والإسلامية . وفي إحدى الليالي ألقي القبض عليه مع جمع من أصحابه المؤيدين له بتهمة أنه كان مرتدياً لباساً يهودياً جالساً مع أتباع له وهم محاطون بالنساء يشربون الخمر وينشدون الأناشيد اليهودية . وقد أتهم بجانب ذلك أنه كان يدعو المسلمين إلى ترك دينهم والإيمان به . وأُرسل إلى أدرنة .

وعندما رجع السلطان محمد الرابع مع الوزير أحمد كوبرولو من حملتهما العسكرية . وجدا شبتاي في السجن وكان هناك كتاب من البستانجي باشي يقول بأنَّ شهوداً قد أكدوا التهمة ضد شبتاي وهم مستعدون لأداء الشهادة في أدرنة فأرسل بطلب الشهود وحضروا وسمعت شهادتهم وكان الوزير يرى قتل شبتاي . فوضع في سجن الذين يُحكم عليهم بالإعدام .

وهنا لا نعرف بالضبط ما الذي حدث هل إنَّ بعض حاشية السلطان كانوا لا يريدون إعدام شبتاي ؟ أو أنَّ أتباعه كان لهم دور

---

(١) المصدر نفسه .G.Scholem p.875

في عدم تنفيذ الحكم ؟ لقد ذكرت في هذا الموضوع روايات لا نرى فائدة كبيرة في ذكرها . إلاَّ أنَّ الذي حدث هو أن الحكومة رأت أن تنفيه إلى ألبانيا إلى مدينة دولسجنو والتي هي الآن في أقصى الجنوب من يوغسلافيا على البحر الأدرياتيكي وتسمّى أولسنج وكان نفيه في صيف عام (١٦٧٣ م)[١] .

وبقي أتباعه على اتصال به عن طريق الرسائل والزيارات وكان ناثان المتنبىء لا يكف عن الإتصال به وبأتباعه وكان يعد أتباع شبتاي بقرب انتصار المسيح وكان الكثير منهم يصدقونه وفي عام (١٦٧٤ م) توفيت زوجته سارة . وفي نفس السنة تزوج ابنة حاخام معروف من سالونيك كان مؤيداً له إسمه يوسف فيلسوف . وفي إحدى المرات قاد مجموعة من أتباعه في منتصف الليل وذهب إلى مسجد المدينة وصعد منارته وأخذ ينشد بصوت عال أناشيد من أسفار العهد القديم ثم نزل . وقد اعتبر أصحابه ذلك معجزة لأن الحكومة العثمانية لم تتخذ إجراءً ضده . وفي عام (١٦٧٦ م) كتب رسالة إلى مؤيديه في صوفيا وهو في هذه الرسالة يتبنى دور النبي موسى (ع)[٢] ويقال أيضاً بأنه صنع أفعى من فضة ووضعها على

---

(١) المصدر نفسه G.Scholem, pp.883ff.

(٢) يعتبر الشبتانيون شبتاي صبّي كالنبي موسى أو هو النبي موسى ولد من جديد ، وأحد الأسباب لذلك هو أن الإسم صبي يصبح مثه (موسى) بحساب ال (أت بش) وهذا الحساب يستعمله كثيراً القباليون اليهود ومن على شاكلتهم وهو نوع من حساب الشفرة تستعمل فيه حروف الأبجدية العبرية بطريقة معكوسة . فالـ أت بش هي عبارة عن الألف (الحرف الأول من الأبجدية =

عمود عند احتفاله بعيد الفصح تشبهاً بالنبي موسى[1] وقال في رسالته هذه :

« إلى إخواني الأحباء أصحاب العقيدة في مدينة صوفيا الذين اختيروا لرؤية الخلاص الذي يرسله الإله حيث أنهم سوف يرون بأعينهم كيف أنَّ الإله سيظهر صهيون وإني سوف أُرسل رسولاً لكم يخبركم عن مجدي في مصر الذي كان قد رأى بعضه :

إسمعوا له ، وأطيعوا كلامه ، ولا تغضبوه في كل ما يقوله باسمي ، لأني سوف لا أغفر لكم ذنوبكم عندما يأتي الإله يوم القيامة ، وسوف يمجد ربّ الجيوش يوم القيامة ، ومن هو الإله الذي سينقذكم من يدي ، لأنه ليس هناك إله آخر غيري ، إذا أطعتم كلامه حقاً كما أقول لكم فإني سوف أصعد حقاً وأملأ خزائنكم قال الإنسان الذي ارتفع على جبال الأب وهكذا قال الأسد والأيل السماوي مسيح ربّ إسرائيل ويهودا شبتاي محمد صبّي »[2] .

= العبرية) والتاء (الحرف الأخير) والباء (الحرف الثاني) والشين (الحرف ما قبل الأخير) . ففي هذا الحساب أن الألف تساوي التاء والباء تساوي الشين والجيم (الحرف الثالث) يساوي الراء (وهو الحرف الثالث من الآخر) وهكذا . والحروف العبرية هي كما يلي مكتوبة بما يقابلها من العربية .

أ ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت .
ففي ضوء هذا الحساب نرى الإسم صبّي يساوي الإسم مشه (وهو بالعبرية يتكون من ثلاثة أحرف) . الباء = الشين والهاء = الصاد والياء = الميم .

(١) فقد جاء في سفر العدد ٢١ / ٥ ما نصّه « فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على العمود فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى الحية النحاس شفي » .

(٢) G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.916.

ومن الملاحظ على هذه الرسالة أنها عبارة عن مقاطع أُخذت من التوراة ووضعت جنباً إلى جنب . ومن الملفت للنظر أنه استعمل الإسم محمد هنا بالإضافة إلى اسمه الحقيقي .

وفي أغسطس من هذه السنة كتب رسالة إلى الجالية اليهودية في برات في ألبانيا يطلب منهم أن يرسلوا له كتاب صلوات ليوم الغفران والسنة الجديدة وقد وقع الرسالة بـ« مسيح ربّ إسرائيل ويهودا شبتاي صبّي » وفي ١٧ سبتمبر من هذه السنة (١٦٧٦ م) توفي شبتاي وقد دفن في مكان قرب البحر عينه هو بنفسه .

ما نسب إليه من أعمال خارقة للعادة

نسب أتباع شبتاي إليه بعض الأعمال الخارقة للعادة وقد سجل لنا مؤرخو حياته بعضاً منها . وإننا لا نستغرب أن تنسب إليه مثل هذه الأعمال من قبل أتباعه لأنهم اعتقدوا فيه غير ما اعتقد فيه الناس ونظروا إليه غير ما نظر إليه الآخرون بل إن بعضاً من أتباعه قد أضفى عليه صفات لاهوتية .

ونحن إذ نذكر هذه القصص فإن ذلك لا يعني بأننا نصدقها وإنما نحن نذكرها إكمالاً لصورة المعتقد الذي يعتقده فيه أتباعه وإتماماً للفائدة .

فمما يذكر في هذا الخصوص بأنَّ الأطفال الصغار الذين لم يكونوا يتمكنون من نطق كلمة واحدة كانوا ينطقون إسم شبتاي لأمهاتهم . أما الكبار فكان الكثير منهم يصاب بالغشية ويتحدث عن مستقبل اليهود الحافل بالخيرات الذي سيتحقق على يد شبتاي . وكان أيضاً بعض أعدائه يصابون بالجنون والخبل ولكن شبتاي كان

يرجعهم إلى كامل عقولهم فيصبحون من مؤيديه وأتباعه[1] .

ومما روي من هذه القصص أنه في أحد الأيام عندما كان شبتاي عند القاضي يناقشه حول معاملة الحكومة لليهود وعن أوضاعهم خرج من فمه عمود نار ظل لفترة بينه وبين القاضي[2] .

ومن ذلك أنه عندما أرسل عليه الوزير أُناساً للقبض عليه فإنه أمات هؤلاء بمجرد كلمة منه ثم عندما أرسل إليه جنوداً أماتهم أيضاً وعندما أراد أن يحييهم أحياهم بكلمة منه .

ويذكرون أيضاً أنه عندما دخل السجن فإن دخوله كان باختياره وعندما كان السجن مقفولاً بأقفال ضخمة فإن شبتاي كان يرى يسير في الشوارع والطرقات مع مجموعة كبيرة من أتباعه وأشياعه . وكذلك كانت القيود الموضوعة في يديه ورجليه تتساقط وتتحول إلى ذهب وكان يوزع هذا الذهب على أتباعه والمؤمنين به[3] .

ومن هذه القصص أن شبتاي دعي في يوم من الأيام إلى بيت أحد أقربائه لحضور احتفال ختان طفل وعندما كان الخاتن على وشك البدء بالعمل إذا بشبتاي يأمره بالتوقف . وبعد نصف ساعة من ذلك أمرهم شبتاي بإتمام الأمر وقال للحاضرين بأنه فعل ذلك لأن النبي إلياهو لم يكن قد أخذ مكانه بعد وأنه انتظره إلى أن يحضر وأنه

---

(١) H.C.Lukach, The city of Dancing Derveshes p.203.

(٢) المصدر نفسه .H.C.Lukach, p.209

(٣) المصدر نفسه .H.C.Lukach, p.203

أخبره بأنه سيظهر لليهود قريباً ويعلن قرب خلاصهم[١] .

ومن الحوادث التي تذكر في هذا الصدد أنّ حاخاماً مشهوراً من أزمير إسمه صموئيل فنيّا كان من أعداء شبتاي الألداء حيث اعتبره دجّالاً وكاذباً وأنَّه لا تتحقق فيه أوصاف المسيح ، ولكنه بعد فترة قصيرة من قوله هذا غشي عليه ثم آمن بشبتاي وقال بأنه إبن الله والمخلّص وآمنت معه عائلته كلها وتنبأن بناته بصحة ما ادّعاه شبتاي وتنبأ معهن ما يقرب من (٤٠٠) شخصٍ بالنبوءة نفسها[٢] .

وقد روى معاصر لشبتاي أنه عندما كان في أزمير قبل ذهابه إلى فلسطين أخبره ثقات بأنهم رأوا شبتاي في غرفته مضطجعاً على فراش مُشرَّب فجاءه ملكان يرضيانه ويقولان له : أنفض التراب عنك وقم وارجع يا أورشليم[٣] .

ومن القصص التي تروى في هذا المجال هو أن شبتاي عندما كان على فراش الموت دعا أخاه وزوجته وبعض أصحابه المقربين وقال لهم :

« إعلموا بأنني سوف أموت في يوم الغفران في وقت النعيلة[٤] فاحملوني إلى الكهف الذي هيأته قرب البحر وفي اليوم الثالث من

---

(١) المصدر نفسه .H.C. Lukach,p.223

(٢) المصدر نفسه .H.C.Lukach p.205

(٣) G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.175.

(١) النعيلة هي الصلاة التي يؤديها اليهود في آخر النهار قبل غروب الشمس بقليل في يوم الغفران .

دفني يأتي أخي إلياهو إلى قبري » .

وفي اليوم الثالث من دفنه ذهب أخوه إلى القبر فوجد فتحة القبر قد سدها عفريت ضخم وعندما أخبر إلياهو العفريت عمّا قاله له شبتاي تنحّى عنه وسمح له بالدخول فوجد إلياهو القبر خالياً ولكنه مملوء بالنور[١] . هذه هي بعض القصص التي ذكرت في هذا الموضوع ولسنا نريد التعليق عليها بالنفي أو التأكيد فإن من حق أتباع أي شخص والمؤمنين به أن يقولوا عنه ما شاؤوا ولكن ليس على الناس أن يصدقوا ذلك .

وقد يعجب القارىء بعد انتهائه من قراءة هذا الفصل من هذه الإستجابة العامة عند اليهود لما ادّعاه شبتاي بل قد يتساءل فيما إذا كان ما ذكر هو حقائق تاريخية أو أنَّ هناك نوعاً من المبالغة فيما ذكر من أحداث .

وإنني لا أكتم القارىء سرّاً بأنني قد عجبت لما قرأته أول مرة لهذا التأييد لدعوة شبتاي والتصديق بها ولكنني عندما أعدت القراءة ووجدت ما أقرأ قد جاء في مصادر متعددة ومن طرق مختلفة بدأت أصدق بالذي أقرؤه وبدأت أعتقد بأنَّ ما حصل بين اليهود هو شيء غير مشكوك فيه بصورة عامة . وعلى الباحث هنا أن يضع ذلك ضمن الظروف العامة التي أحاطت بذلك لتحليلها ومحاولة تشخيص الأسباب التي جعلت من هذه الإستجابة على ما كانت عليه .

---

(١) G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.920.

ويبدو لنا أنّ أحد هذه الأسباب هو الإيمان العميق لدى اليهود بفكرة المسيح المخلّص الذي يخلّصهم من الظلم ـ كما يعتقدون ـ ويجعلهم حكاماً على الأرض والقيمين عليها . وفي تمهيدنا لهذا البحث ذكرنا بعض المدّعين الذين ادّعوا بأنهم المسيح المخلّص وكيف أن اليهود قد صدقوهم وآمنوا بهم بل وأطاعوهم لما أمروهم به .

وقد يكون أحد هذه الأسباب هو أنَّ شبتاي بدأ مهمته من فلسطين واليهود ينظرون إلى فلسطين نظرة تختلف عن نظرتهم إلى أي مكان آخر . ومن الممكن أن يكون أحد هذه الأسباب هو بعد المسافة بين مقرّ شبتاي وبقية الجاليات اليهودية المنتشرة في بقاع العالم فقد كانت هذه الجاليات تعتمد أكثر ما تعتمد على ما يكتب لها من رسائل من قبل شبتاي أو غيره ـ كما رأينا ـ وكانت هذه الرسائل تؤكد على صحة ما كان يدعي شبتاي وكان اليهود يصدقون ما يسمعون . وكان لوجود ناثان المتنبىء تأثير على الناس فقد كان هذا الرجل ـ كما ذكرت سابقاً ـ ذا اطلاع واسع في اليهودية وكتبها وكان يؤول ويفسّر كل ما يقوم به شبتاي من أعمال في ضوء التلمود والكتب الأخرى . وكانت هذه التفسيرات والتأويلات مقنعة للعامة من اليهود مقبولة عندهم . وكان من الأمور التي جعلت شبتاي صادقاً عند اليهود هو تحقق بعض الشروط العامة للمسيح مصادفة فيه كولادته في التاسع من آب . وبجانب هذا كله فإنَّ الظروف العامة لليهود جعلت منهم أناساً يتقبلون ظهور بطل يلتفون حوله ويلتجئون إليه .

الفصل الثاني

فرقة الدونمه

فرقـة الدونمـه

الدونمه كلمة تركية أطلقها الأتراك المسلمون على أتباع شبتاي الذين تظاهروا بالإسلام كما تظاهر هو . وهي تعني المتحولين من دينهم أو المرتدين عنه .

واليهود يطلقون على الدونمه (مينيم) وهي كلمة عبرية تعني « منشقين » (عن طائفة ما) .

بينما يطلق الدونمه على أنفسهم (مئامنيم) وهي أيضاً كلمة عبرية وتعني مؤمنين أو مصدقين (بشبتاي صبّي) .

ويعتبر الدونمه أنفسهم مجموعة مختارة متميزة لأنهم تابعوا شبتاي في تظاهره بالإسلام وقبلوه بينما لم يفعل ذلك البقية من أتباعه ولم يتشرفوا به كما يقولون .

وكان عدد الدونمه قليلاً عندما كان شبتاي حياً وكان أكثرهم من دول البلقان . وفي عام (١٦٨٣ م أو عام ١٦٨٦ م) أظهرت ما يقرب من ثلثمائة عائلة من أتباع شبتاي إسلامها في سالونيك ثم

هاجر أكثر من كان في تركيا منهم إليها فأصبحت سالونيك منذئذٍ المركز الرئيس لهذه الفرقة .

وفي القرن الثامن عشر إنضم لهؤلاء مجموعة من بولندا من المؤمنين بشبتاي وقد عرفوا بين الدونمه بـ Lechi (بولنديين)[١] . وقد قدر عدد الدونمه في بداية هذا القرن بعشرين ألفاً .

وقد جاء هذا التقدير في وثيقة بريطانية سرّية[٢] بعث بها السفير البريطاني في اسطنبول في (٢٩ مايو عام ١٩١٠ م) إلى وزارة الخارجية البريطانية وقد جاء فيها ما نصّه :

« إن عدد سكان سالونيك مائة وأربعون ألفاً منهم ثمانون ألف يهودي من أصل إسباني وعشرون ألفاً من فرقة شبتاي لفي[٣] أو اليهود الباطنيين الذين تظاهروا بالإسلام » .

وبعد الحرب التركية اليونانية عام (١٩٢٤ م) نزح الغالبية العظمى من الدونمه إلى تركيا وأصبحت مركزهم الرئيس منذئذٍ إلى الوقت الحاضر . وبقي الدونمه يتكلمون اللادينو (وهي لغة خليط

---

(١) دائرة المعارف اليهودية مادة : Donmeh

(٢) توجد هذه الوثيقة في لندن في الـ Public Record office تحت رقم 1010 371 وهي ضمن مجموعة من الوثائق . والترجمة الموجودة في كتابي هذا هي ترجمتي من نسختي الانجليزية .

(٣) هكذا في الأصل شبتاي لفي وقد يكون هذا غلط طباعي تحول فيه الإسم Zevi إلى Levi.

من الإسبانية والعبرية) فيما بينهم ويكتبون بها كتبهم الدينية والأدبية ويتكلمون بالتركية مع غيرهم وقد استمروا على هذه الحال إلى نهاية القرن التاسع عشر حيث حلّت اللغة التركية محل اللادينو . وقد استمروا أيضاً يستعملون اللغة العبرية لأغراض خاصة بينهم إلى بداية القرن العشرين .

ولقد ظلت عقائد الدونمه ردحاً من الزمن طويلاً سرّاً من الأسرار لا يعرفه إلاَّ هم وبقي الناس لا يميزون بين الدونمه وغيرهم من المسلمين وكيف يميزونهم وهم يؤدون ما يؤديه المسلمون من شعائر ويتسمون بما يتسمون به من أسماء . وقد وصف أحد الكتاب وضع الدونمه بقوله :

« بقي الدونمه لفترة (٢٥٠ سنة) يعيشون كما يعيش المرانوس[1] يقودون حياة مزدوجة ويعيشون خلف حائط صيني سميك في معزل عن الناس في مجتمع مسلم وبيئة مسلمة في سالونيك يسلكون ظاهراً مثل المسلمين الأتقياء . وقد طوروا عقيدتهم من خلال حياتهم السرية وعن طريق تقاليدهم الخاصة بهم

---

(١) المرانوس هم يهود إسبانيا والبرتغال الذين أُجبروا على اعتناق المسيحية الكاثوليكية منذ القرن الرابع عشر . وقد عاش هؤلاء حياة دينية مزدوجة يلتزمون ظاهراً بالمسيحية وسرّاً باليهودية وقد أصبح الإسم مرانوس يطلق بصورة عامة على اليهود الذين يضطرون لإخفاء يهوديّتهم وإظهار عقيدة أخرى وقد أعطيت تفسيرات متعددة لأصل كلمة مرانوس لسنا بصدد الحديث عنها هنا . واليهود يطلقون على المرانوس « أنوسيم » وهي تعني « مجبرين » .

وآدابهم وأشعارهم وأعرافهم الدينية الغربية وكأنهم لوحدهم في دولة مستقلة من المرانوس فقط التي وجدت دون أن يعلن عنها يعملون على المحافظة على أسرارهم وعلى تطبيق شعائرهم الدينية التي لا يطبقونها إلّا فيما بينهم فقط وبطريقة سرية تماماً »[1] .

ولم تبدأ أسرار هذه الفرقة تنكشف إلّا في بداية هذا القرن حيث حصل بعض الباحثين والمختصين على بعض كتبهم التي تضم عقائدهم وتعاليمهم وكذلك بعض كتب صلواتهم وعقيدة الدونمه هي من أغرب العقائد التي يصادفها الباحث في موضوع الفرق والأديان ووجه الغرابة في ذلك هو أن الدونمه التزموا ظاهراً واختياراً بشعائر لا يؤمنون بها وهي الشعائر الإسلامية وآمنوا باطناً بمبادىء لا يظهرونها للناس .

وهم على الرغم من التزامهم الظاهري بالإسلام فإنهم يمقتونه ، وهذا منصوص عليه في عقيدتهم كما سنرى ذلك فيما بعد .

ويفسّر علماؤهم إشتهار شبتاي بالإسلام بأنه مرحلة مقدمة لخلاص اليهود . وهي مرحلة غير طاهرة يدخلها المخلّص من أجل انقاذ اليهود . ويشبه ناثان المتنبىء ذلك بزواج اليهودية أستير من الملك الفارسي حيث قامت بعد زواجها به بأعمال مخالفة لشريعة اليهود كأكل غير المذبوح وما يشبهه كل ذلك من أجل أنقاذ

(١) I. Ben-Zevi, The Exiled and the Redeemed, p.131.

اليهود[١] .

وعقيدة الدونمه تتركز في الواقع حول شبتاي نفسه ولا يجوز أن تفصل هذه العقيدة عنه بأية حال من الأحوال بل إنه من الممكن أن نقول بأنَّ عقيدة الدونمة لا تعني شيئاً بدون شبتاي . فهو المسيح وهو المخلّص وهو المنتظر والمؤمل والمنقذ . وتقاليدهم وتعاليمهم تتركّز أيضاً حوله وكذلك أعيادهم . وسيلاحظ القارىء بأنَّ عقيدتهم تضم تقاليد ومعتقدات يهودية . وليس هذا بغريب لأنّ عقيدة الدونمه أصلاً نشأت وتطورت من اليهودية إلى جانب أنَّ الذي أنشأها حاخام يهودي[٢] . ولقد اعتمدت في الحديث عن أصول عقيدتهم وتعاليمهم وتقاليدهم المصادر الموثقة التي اعتمدت أصلاً على مخطوطات جاءت من مكتبة الدونمة في فترات مختلفة من هذا القرن .

---

(١) الإنقاذ الذي تحدث عنه ناثان قد وردت قصته كاملة في سفر أستير من العهد القديم ، حيث دبرت أستير اليهودية بتأثيرها على الملك أحشورش قتل الآلاف من غير اليهود الذين اعتبروهم أعداءهم . وقد جاء في الإصحاح التاسع من هذا السفر ما يلي :

« ثم اجتمع اليهود الذين في شوشن في اليوم الرابع عشر من شهر أذار وقتلوا في شوشن ثلثمائة رجل ولكنهم لم يمدوا أيديهم إلى النهب وباقي اليهود الذين في بلدان الملك اجتمعوا ووقفوا لأجل أنفسهم واستراحوا من أعدائهم وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفاً » . وبسبب ذلك يحتفل اليهود في آذار بعيد (البوريم) .

(٢) بل إن البعض من الناس لا يفرقون بينهم وبين اليهود كثيراً ، خصوصاً عندما يتحدثون عن اليهود في تركيا . (انظر مثلاً صحيفة الفايننشال تايمس اللندنية عدد ١٩٨٦/٩/٩ م) .

من أصول عقيدتهم

من المعروف أن أصول عقيدة الدونمه كان قد وضعها شبتاي نفسه وتسمى بـ (وصايا سيدنا شبتاي صبّي) . ولا ندري فيما إذا كانت صورتها الحالية هي نفس الصورة التي وضعها شبتاي أو أنه وضعها بصورة مختلفة ثم تطورت بمرور الزمن ووصلت إلينا بشكلها الحالي .

وصورة هذه الأصول التي بين أيدينا تبدأ بصيغة المفرد المتكلم مثل أؤمن ، أطبق . . . إلخ وفيما يلي أهم أُصولهم :

أؤمن بإله واحد وأُؤمن بمسيحِه المخلّص الحق شبتاي صبّي حفيد الملك داود وأقسم بأنني لا أذكر إسمهما بالباطل ولا أقسم بهما كذلك .

وأقسم بأنني سأنقل أصول عقيدة مسيحنا من جالية إلى جالية وأجتمع بإخواني في العقيدة في السادس عشر من شهر كسلو لأناقش معهم أسرار عقيدة مسيحنا .

وأقسم بأنني سوف لا أعرض عقيدة العمامة التي تسمى الإسلام على أحد من الناس وأقرأ مزامير داود كل يوم بسرية .

وأطبق دين الأتـــراك بحـذافيـــره أمـام النـــاس حتى لا أثيـــر شكوكهم . ليس بصيام شهر رمضان فقط بل بكل العبادات الأخرى الظاهرة للعيان . ولا أتزوج من عائلة مسلمة ولا أُصادق أحداً من المسلمين لأننا نمقتهم خصوصاً نساؤهم[1] .

وإني أتعهد ختان أولادي الذكور وأؤمن إيماناً مطلقاً بأن التوراة التي أنزلت على معلمنا موسى هي توراة الحق كما هو مكتوب وهي التوراة التي وضعها موسى أمام إسرائيل بأمر الإله والتي هي شجرة الحياة فمن يتمسك بها وبالمؤمنين بها يكون سعيداً .

وأؤمن إيماناً مطلقاً بأنَّ هذه التوراة لا تبدل ولا تكون هناك توراة أخرى سوى أنَّ الوصايا هي التي أُلغيت ولكن يجب التمسك بالتوراة الأبدية .

وأؤمن إيماناً مطلقاً بأنَّ شبتاي صبّي جل جلاله هو الذي سيجمع شتات إسرائيل من أطراف الأرض الأربعة .

وأؤمن إيماناً مطلقاً بأنَّ الأموات سيبعثون من تراب الأرض وأنهم سيعيشون .

---

(١) في الفترة الأخيرة أخذ الكلام . ضد المسلمين تخف شدّته عند الدونمه انظر
G.Scholem. The Messainic Idea in Judaism, p.149.

وأؤمن إيماناً مطلقاً بأنَّ إله الحق إله إسرائيل سيرسل لنا من السماء إلى الأرض معبداً بني من جديد كما ذكر في التوراة : إنَّ الله وحده هو الذي يبني الهيكل وكل الذين يحاولون بناءه عملهم هباء ، فلعل عيوننا ترى (ذلك) وقلوبنا تفرح به ونفوسنا تغني سروراً له وليكن ذلك في أيامنا آمين .

وأؤمن إيماناً مطلقاً بأنَّ إله الحق إله إسرائيل سوف يكشف عن نفسه في هذا العالم الذي يسمى (تبل)[1] كما ذكر : إنهم سوف يرون رؤيا العين رجوع الربّ إلى صهيون . وكما هو مكتوب فإنَّ مجد الإله سيكشف عنه وسوف يراه كل البشر لأن فم الرب قد وعد به .

ثم يختم ذلك بالدعاء التالي :

« اللهم ، إله الحق ، إله إسرائيل ، الذي يسكن مجد إسرائيل ، إرسل لنا المخلّص العادل منقذنا شبتاي صبّي وعجل لنا ظهوره في أيامنا هذه آمين »[2] .

ومن الوصايا التي تنظم علاقتهم بالمصدقين بشبتاي من غير الدونمه ما نصّه :

إعلنوا لاخوانكم المصدقين ، الذين لم يعرفوا سرّ (لبس)

---

(١) كلمة عبرية تعني الكون ، العالم .

(٢) G.Scholem, The Messianic Idea in Judaism p.157.

العمامة بعد ، الذي هو عبارة عن حرب ضد الشرّ ، بأن يحفظوا كلا التوراتين التوراة الحالية والتوراة الروحية(١) الخالصة التي يجب أن لا ينقصوا منها شيئاً إلى أن يظهر المخلص وعندئذٍ تضمهم شجرة الحياة ويصبحون ملائكة(٢) .

. ومن معتقداتهم التي هي غير موجودة ضمن أصول عقيدتهم والتي أعتقد بأنها قد أضيفت بعد وفاة شبتاي هو أنَّ الكون قد خلق من أجل الدونمه والمسلمون في هذا العالم مخلوقون لأجل حفظهم . تماماً مثل البيضة التي يحفظها قشرها . وهم يعتقدون بأنَّ البشر من غير اليهود عبارة عن قلّنا (وهي كلمة عبرية تعني قشرة وكذلك تعني شرٌّ وشياطين) وأنَّ أرواحهم مثل أجسامهم ستذهب إلى العوالم السفلى(٣) .

من تعاليمهم وتقاليدهم

يتميز الدونمه كما يتميز أتباع شبتاي الآخرون بأنهم :

يظهرون معتقداً ويخفون آخر فهم يظهرون الإسلام ويخفون معتقدهم الحقيقي . ففي المجتمع الإسلامي يذهبون إلى المساجد

---

(١) التوراة الروحية هي تلك التي تظهر بظهور المسيح حسب عقيدة الدونمه . وقد ظهر بعضها بظهور شبتاي الأول وستحل التوراة الروحية محل التوراة الحالية عندما يظهر المسيح (شبتاي) مرة أخرى .

(٢) G.Scholem, The Messainic Idea in Judaism, pp.148-149.

(٣) S.Dubnov, History of the Jews, vol.4, p309.

ويؤدون الصلوات ويصومون ويحيون بعض الشعائر الأخرى إلاَّ أنَّ العبادة الحقيقية تكون في معابدهم التي لا يدخلها غيرهم .

ويكون معبدهم وسط الحي الذي يسكنون فيه حتى لا يجلبون نظر الآخرين . وهم يطلقون عليه « قهل » وهي كلمة عبرية تعني تجمع (ديني) .

وهو لا يختلف في ظاهره عن بقية البيوت فهو لا يتميز بشعار أو زخرفة كما يتميز معبد اليهود مثلاً بتابوت التوراة أو منضدة القراءة المرفوعة أو نجمة داود . والذي يقود صلاتهم يسمى فيطان التي معناها بالعبرية : شاعر (أشعار دينية) . وبعضهم يقول بأن يسمى خوجة أو حاخاماً[١] .

ولكل فرد من أفراد الدونمه إسمان أحدهما إسلامي يعرف به في المجتمع الإسلامي والآخر خاص يعرف به بين أبناء فرقته وهو اسم يهودي وهم يعتقدون بأنهم سينادون في الجنة بالأسماء اليهودية[٢] وهم يعرفون أنفسهم بهذا الإسم لليهود دون غيرهم ويكتبون على بطاقاتهم الشخصية بشكل غير واضح بجانب الإسم الإسلامي . والدونمه لا يتزوجون إلاَّ فيما بينهم وهذا أحد التعاليم المهمة عندهم فهم لا يتزوجون من غير اليهود ولا يتزوجون من اليهود إذا لم يعتقدوا بشبّتاي[٣] .

(١) G.Scholem, The Messianic Idea in Judiasm p.155.

(٢) المصدر نفسه G.Scholem, p.159.

(٣) المصدر نفسه S.Dubnov, vol.4, p309.

وهم في الغالب يتفقون على زواج أولادهم عندما يكون هؤلاء في بطون أمهاتهم ويعتقدون بأنَّ المرأة إذا تزوجت من غير الدونمه فإنها تذهب إلى النار . وبعض الدونمه يقول إنَّ سبب عدم الزواج من غير الدونمه هو من أجل حفظ الثروة بينهم . ويكون الزواج في يوم الإثنين والخميس .

وعقد الزواج يتم بحضور رجل الدين منهم الذي يسمى « آب بيت دين » وعند بعض فروعهم يذهب الزوج والزوجة ورجل الدين إلى قبر أحد أئمتهم ويركع أمامه ويقبله وبعد فترة طويلة من الصلوات والأدعية يترك الزوج والزوجة وحدهما ثم يقرأ الزوج صلاة طويلة تسـمّى صلاة الوصال .

وعندما ينتهون من مراسيم العقد على طريقتهم الخاصة يذهبـون في اليـوم التالي إلى قاضي المسلمين لإجراء العقد طبقاً للشريعة الإسلامية .

والختان واجب عندهم ـ كما ذكرنا سابقاً ـ وكان يتم في اليوم الثامن كما هو عند اليهود ولكنه الآن يتم بعد ثلاث سنوات وأحياناً أكثر من ذلك[٢] .

وللدونمه مدافنهم الخاصة بهم وعندما يكون الإنسان منهم على فراش الموت فإنهم يجلسون حوله مع رجل الدين يصلون ويقرأون الأدعية والميت منهم يغسل من قبل الرجال فقط مع غض

---

(١) A.Kucuk, Donmeler ve Donmelik Tarihi, pp.215-217.

النظر عن جنس الميت ووجود الورد ضروري في مراسيم الجنازة . وفي الإرث يكون للمرأة ما للرجل .

وهم يعتقدون بأنهم وحدهم الذين يبعثون من قبورهم ويكون ذلك يوم السبت يقودهم رجال دينهم يحملون أعلاماً خضراء والبقية منهم يحملون أعلاماً ذات ألوان مختلفة وأما البقية من البشر فإنهم لا يبعثون من قبورهم . وهم وحدهم الذين يدخلون الجنة . وأما المسلم فإنه يجب أن يتناسخ أربعين مرة ولا يذنب حتى يستحق دخول الجنة .

وللدونمه يوم في السنة يعترفون فيه بذنوبهم يلبسون له ملابس خاصة به .

ويعتبر ابتداء الدونمة لغيره بالتحية ذنب .

والسبت لا يعتبر عطلة عندهم ولكنهم يتفادون العمل فيه[1] .

ولهم أعيادهم الخاصة بهم التي سوف نذكرها فيما بعد .

ومن عادة الدونمه أو بعضهم أنهم يرسلون النساء والأطفال إلى البحر لانتظار قدوم شبتاي في السفينة .

والكبار منهم يقفون كل صباح عند أبواب منازلهم يحدقون في الأفق انتظاراً لقدوم شبتاي .

---

(١) A. Kucuk, Donmeler ve donmelik Tarihi, pp.218-9.

وهم في الصباح يغسلون وجوههم من أجل الصلاة . وفي المساء في ساعة خاصة يجتمعون رجالاً ونساءً للعبادة أيضاً . وقد ذكر بأن مكان العبادة يضاء بنور أخضر .

ويعتقدون بأنَّ من بينهم أشخاصاً أولياء لا تقربهم النار في هذه الدنيا ولذلك يضعون في بيوت هؤلاء ممتلكاتهم الثمينة . وكتب صلواتهم صغيرة الحجم جداً وذلك لسهولة إخفائها وهي نفس الطريقة التي اتخذها المرانوس .

وللسمكة أهمية خاصة عندهم (وقد يكون ذلك بسبب ما قام به شبتاي من وضع سمكة في المهد) ولذلك يضعون مجسماً أو شكلاً لها في بيوتهم . وإذا أباح الدونمي بأسرار فرقته فإنه يستحق الموت لخيانته ولا يجوز للدونمي أن يتقاضى في محاكم المسلمين بل يجب أن تكون التوراة هي الحكم له وهم يختارون من بينهم رؤساءهم ويبقى المنتخب رئيساً طول حياته[١] .

---

(١) A.Kucuk, donmeler ve donmelik Tarihi, pp.214-219.

أعياد الدونمـه

تحتفل فرقة الدونمه بأعياد كثيرة في السنة وأغلب هذه الأعياد تتعلق بأحداث لها علاقة بمؤسس الفرقة شبتاي صبّي . وهم عادة لا يتوقفون عن العمل فيها حتى لا يثيروا انتباه الآخرين ويكتفون بالإحتفال في ليلة العيد . وعند ذكرنا ليـوم العيد حاولنا أن نذكر إلى جانبه سببه إلاّ إذا كنّا على معرفة بذلك السبب . وفيما يلي أيام الأعياد المعروفة عندهم .

١٤ سيوان : ويسمى موعد صمح (عيد الثمار أو الزروع) وقد ربطوا هذا العيد بفقرة وردت في سفر إشعيا ٤/٢[١] والتي جاء فيها « في ذلك اليوم يكون غصن الربّ جمالاً ومجداً وثمر الأرض للفخر والزينة للناجين من آل إسرائيل » وتضمنت هذه الفقرة كلمة صبّي العبرية التي تقابلها كلمة « جمال » العربية . وبما أن كلمة ثمر (صمح) قد وردت في هذه الجملة فقد أسمي هذا العيد بهذا

(١) A.Galante, Nouveaux Documents sur Sabbatai Sevi , p.46.

الإسم . وكلمة صمح أيضاً تطلق على المسيح المخلّص مجازاً . ولم أعثر على مصدر يذكر سبب جعل هذا العيد في هذا اليوم وقد يكون لذلك علاقة ببداية الإعلان عن مهمته .

١٧ سيوان : يحتفل الدونمه بهذا اليوم لأنه اليوم الذي أعلن فيه شبتاي عن دعوته عام (١٦٦٥م) . وقد جاء في إحدى مخطوطات الدونمه من القرن السابع عشر ما يلي « السابع عشر من سيوان هو اليوم الذي بدأت فيه مملكة المسيح تعظم »[١] .

٢١ سيوان : يحتفل بهذا اليوم على أنه اليوم الذي اختار فيه النبي الياهو شبتاي عام (١٦٤٨ م) . وقد عثر في إحدى مخطوطات الدونمه على بعض الأناشيد التي تمجد هذا العيد . وقد احتفل الدونمه بهذا العيد دون انقطاع ولكنهم يخطئون في تشخيص المناسبة فيعتقدون أنَّ شبتاي اختير من قبل ناثان وليس من قبل إلياهو[٢] .

٢٤ سيوان : هذا اليوم هو عيد تقديس شبتاي من قبل ناثان .

٢٦ سيوان : هذا اليوم هو يوم عيد عندهم ولا نعرف سببه .

٩ تموز : في هذا اليوم كما تقول تقاليد الدونمه أُوحي إلى شبتاي بأنّه سيكون المسيح[٣] .

---

(١) G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.221.

(٢) المصدر نفسه .G.Scholem, p.141

(٣) المصدر السابق .A.Galante, p.46

١٧ تموز : هذا اليوم هو يوم صيام عند اليهود ولكن شبتاي جعله يوم عيد وهو يعتبر يوم الإنارة وتجديد روح شبتاي وورد في رسالة لشبتاي . من عام (١٦٦٦ م) قوله فيها « هو يوم تجديد روحي ونـوري »[١] .

٢٣ تموز : هذا اليوم هو يوم صيام عند اليهود وعند الدونمه هو يوم عيد ويسمى بعيد الأنوار . وقد أمر شبتاي أتباعه بأن يشعلوا ثماني عشرة في كل بيت من بيوتهم . وكان قد احتفل بهذا العيد أول مرة عندما كان شبتاي سجيناً في القلعة حيث خرج اليهود بالمئات في الشوارع تعظيماً لشبتاي وكانوا قد أضافوا إلى صلواتهم جملة « هذا اليوم هو عيد الأنوار وهو الفصل الذي جاءنا بالبشـارات »[٢] .

٢٤ تموز : هذا اليوم هو عيد تشريف زوجته سارة[٣] .

٣ آب : يحتفلون بهذا اليوم إمَّا لأن شبتاي كان قد انتصر على الحاخامين في مصر عند جداله ونقاشه معهم أو لنجاح مهمته مع رفائيل يوسف أو لأنه كان قد انتصر على نحميا كوهن الذي ناقشه حول شروط المسيح عندما كان في السجن[٤] .

٩ آب : ويسمى عندهم حج سمحوت (عيد السعادة)

---

(١) المصدر السابق .G.Scholem, p.221

(٢) المصدر نفسه .G.Scholem, p.922

(٣) المصدر السابق .A.Galante, p.46

(٤) A.Kucuk, Donmeler ve donmelik Tarihi, p.221.
والمصدر السابق .A.Galante,p.47

ويحتفل في هذا العيد احتفالاً مهيباً من قبل أتباع شبتاي وبضمنهم الدونمه . وهذا اليوم هو الذي ولد فيه شبتاي كما ذكرت سابقاً وسأذكر فيما بعد المراسيم التي شرعها شبتاي خصيصاً لهذه المناسبة .

١٥ آب : يحتفل بهذا اليوم لأن شبتاي كان قد أصبح فيه ملكاً[١] .

١٦ كسلو : في تقاليد الدونمه أنَّ شبتاي أعلن إسلامه في هذا اليوم . وقد ورد النص على هذا اليوم في أحد النصوص التي تضمنت عقيدتهم .

١٥ شبط : هذا اليوم هو عيد عند اليهود بصورة عامة .

١٥ آذار : وهو أحد أيام عيد البوريم عند اليهود . وقد يكون الإحتفال به عندهم لهذا السبب .

٢٢ آذار : عيد الحمل الذي سنتحدث عنه فيما بعد وقد ذكر بعضهم بأنه عيد (٢١) آذار وليس (٢٢ آذار) .

وعدا ذلك فهم يحتفلون بالأعياد اليهودية الأخرى كعيد الحنوكه وغيره .

وهم كذلك يحتفلون بظهور الهلال من كل شهر ويصلون من أجل أن يكمل القمر دورته[٢] .

---

(١) المصدر السابق .A.Galanté, p.49

(٢) المصدر نفسه .A.Galanté, p.46

رسالة شبتاي صبّي إلى أتباعه في طريقه إحياء عيد ميلاده

إلى شعبي واخوتي المؤمنين من سكان مدينة إزمير من رجل وامرأة وعوائل .

سلام لكم من ربّ السلام ومني أنا حبيبه الملك سليمان .

اجعلوا التاسع من آب إبتداء من آب القادم يوم فرح عظيم ويوم وليمة تحتفلون به وتأكلون فيه الطيب من اللحم واللذيذ من الشراب مع شموع وأنوار وأغان وموسيقى . لأنه يوم ولادة شبتاي صبّي الملك المفضل على كل ملوك الأرض .

وبالنسبة إلى العمل وما شابهه فإن هذا اليوم يجب أن يكون يوم راحة تتوقفون فيه عن أعمالكم وتلبسون فيه أفخر ثيابكم .

وأما ما يتعلق بصلواتكم فلتكن صلواتكم كما في بقية الأعياد الأخرى . ولا تكثروا الحديث مع المسيحيين بل لا تتحدثوا معهم . وتكون طريقة صلواتكم على الشكل التالي : فبعد أن تقولوا : « مبارك أنت أيها الإله المقدس » قولوا بعدها : « أنت الذي اخترتنا من بين الشعوب ، وأنت الذي أحببتنا ، وأنت الذي كنت مسروراً بنا ، وأنت الذي أذللتنا أكثر من أي شعب آخر ، ولكنك قدستنا بخدمتنا لك ، وخدمة ملكنا . لقد وضعت بيننا إسمك المقدس العظيم الرهيب ، وأعطيتنا يا رب كما أحببت أوقاتاً للفرح ، وأوقاتاً للأعياد ، وأوقاتاً للطرب . وهذا اليوم هو يوم مواساة حيث اجتمعنا للتقديس من أجل يوم ولادة ملكنا المسيح شبتاي صبّي عبدك وابنك

الحبيب البكر الذي به نحيي ذكرى خروجنا من مصر ، » ثم بعد ذلك يجب أن تقرأوا الإصحاح الأول والثاني والثالث إلى الفقرة (١٧) من سفر التثنية . ويجب أن تختاروا خمسة رجال من بينكم ليقرأوا في توراة صحيحة خالية من الأخطاء . وبالإضافة إلى قراءة البركة الصباحية التي هي مخصصة لأيام الأعياد وكذلك المقاطع المخصصة من أسفار الأنبياء التي تقرأ في المعبد كل سبت فإنكم يجب أن تقرأوا (٣١) إصحاحاً من سفر إرميا .

وبالنسبة إلى الصلاة التي تسمى الموساف فإنكم تضيفونها إلى هذا العيد .

وبالنسبة إلى الشعيرة التي تؤدونها عند إرجاع التوراة إلى مكانها فإنكم يجب أن تقرأوا بصوت عال واضح وجميل المزمور (٩٥) وتقرأونه بعدما تقولون المدائح في الصباح وبعد أن غنيتم المزمور (٩١) . وقبل أن تغنوا المزمور (٩٨) يجب أن تقرأوا المزمور (١٣٢) عدّة مرات ولكنكم تبدلون الفقرة الأخيرة « وبالنسبة إلى اعدائه سوف ألبسهم الخزي وبالنسبة له فإن تاجه سوف يزدهر » بـ « وبالنسبة إلى أعدائه سوف ألبسهم الخزي وبالنسبة للأكبر الأعلى فإنَّ تاجه سوف يزدهر » وبعد ذلك تقرأون المزامير (٢٦ و١١٣) إلى (١١٩) .

وبالنسبة إلى ما تقرأون على الخمر في عشية العيد فإنكم يجب أن تذكروا عيد المؤاساة الذي هو عيد ولادة ملكنا المسيح شبتاي صبّي عبدك وولدك البكر وتذكرون البركة كالآتي :

« مبارك ربنا ملك العالم الذي خلقنا لنعيش والذي رزقنا وجعلنا أحياء إلى هذا الوقت » . وفي ليلة ذلك اليوم يجب أن تقرأوا كذلك المزمور (٨١) وكذلك المزمور (١٣٢ و ٢٦) التي هي مخصصة لمدائح الصباح . وسيكون لكم هذا اليوم يوم ذكرى ويوم دين لعصور أبدية وشهادة بيني وبينكم[١] .

---

(١) H.C.Lukach, The city of Dancing Derveshes pp.215-18.

فروع فرقة الدونمه

دبت الخلافات بين أعضاء فرقة الدونمه في السنين الأولى من نشوئها وقد تركزت هذه الخلافات أصلاً حول من هو الممثل الشرعي لشبتاي ومن هو خليفته ومن هو الذي يمثل معتقد الدونمه بشكله الصحيح .

فحينما أعلن يعقوب قوريدو (المحبوب) بأنَّه الخليفة الشرعي لشبتاي رفضت مجموعة من الدونمه الإيمان به ثم بعد سنوات من ذلك إنشق عليه واحد من الذين كانوا قد آمنوا به وصدقوه وأصبح هذا يدعو لنفسه ويؤكد لأعضاء الدونمه بأنه الخليفة الحق لشبتاي فآمنت به طائفة وكفرت به غيرها . فصار هذا وأتباعه فرعاً ثالثاً وأصبحت هذه الفروع الثلاثة تعرف بأسمائها . ولبعضها أكثر من إسم . وعلى الرغم من أن الإختلاف حول شرعية التمثيل قد أحدث بعض الخلافات بين الفروع في مسائل معينة إلَّا أنَّ المعتقد الأساسي بقي كما هو وكذلك السلوك العام . ومع ذلك فقد رأيت أن أتحدث بشكل مختصر عن هذه الفروع الثلاثة .

١ ـ اليعقوبيون : وإنما سمّوا كذلك نسبة إلى (يعقوب قوريدو) وهو صهر شبتاي مؤسس الفرقة وقد رجع يعقوب من ألبانيا إلى سالونيك بعد وفاة شبتاي هو وأخته يخوبد[١] . وهي زوجة شبتاي التي توفي عنها ورجع معه بعض أتباع شبتاي . وقد أعلن قوريدو بأنه الممثل الشرعي لمؤسس الفرقة وأنّ روحه قد حلّت فيه . ويذكر بأنّه كان قد اعتكف مع أخته ولم يظهر للناس لمدة ثلاثة أيام ثم ظهرت أخته وأعلنت لأتباع شبتاي بأنّه كان قد تراءى لها وقال بأنه تبنّى يعقوب فأعطي له الإسم يعقوب صبّي . وكانت أخته وأبوها فيلسوف وحاخام آخر اسمه فلورنتين من المساندين له والداعين لأفكاره .

وكان يعقوب هذا يسافر بين أتباع شبتاي يدعوهم إلى إظهار الإسلام وعلى أثر دعوته أعلنت ما يقرب من ثلاثمائة عائلة إسلامها في مسجد سالونيك . وقد عرف هؤلاء أيضاً بلقب أربادوس وهي تعني باللادينو « الحليقين النظاف » لأنهم يحلقون شعر رؤوسهم بشكل كامل ويرسلون لحاهم وكان الأتراك يسمونهم « لابسي الطرابيش »[٢] لأنهم تبنّوا لبسها . وهؤلاء يتميزون بنحافة أجسامهم ودقة أنوفهم وطولها ولما شكت الحكومة العثمانية في إسلام يعقوب وأتباعه ذهب إلى مكة لأداء الحج وعند رجوعه توفي في الاسكندرية

---

(١) هذا هو إسمها بالعبرية ويعني « المبجلة » أما إسمها الإسلامي فهو « عائشة » .
(٢) كان هذا قبل إلغاء لبس الطربوش من قبل حكومة أتاتورك .

عام (١٦٩٠ م)[١] . ويعرف هؤلاء أيضاً باسم حمدي بيلر نسبة إلى أحد رؤسائهم المتأخرين . وسمي أيضاً بعثمان بيلر[٢] .

٢ ـ القرة قش أو الكونيوزوس : وهذه المجموعة كانت قد انشقت عن مجموعة يعقوب قوريدو إذ أعلن أحد أتباعه وإسمه بروخيا روسو ـ وكان أحد أبناء علماء الشبتائية والمتقدمين منهم ـ أن قوريدو ليس الممثل الشرعي لشبتاي وقال بأنه هو نفسه الممثل الحقيقي له وقد تبعه على ذلك جماعة كبيرة من أتباع قوريدو إذ لم يبق مع الأخير سوى (٤٣) عائلة .

وفي عام (١٧١٦ م) أعلن بروخيا بأنَّ روح الإله قد حلّ فيه . وجاء بتشريعات دينية جديدة كتحليل الكثير من المحرمات التي ذكرتها التوراة . وبعث بالرسل من سالونيك إلى أوروبا للتبشير به وبأفكاره .

وتوفي بروخيا عام (١٧٢٠ م) وأصبح قبره مزاراً لأتباعه يأتون له ويقدسونه وفي تراث القره قش أنَّ بروخيا كان عالماً متميزاً ذا

---

(١) أو عام ١٦٩٥ م .

(٢) هناك من يرى بأن بروخيا نفسه كان يسمى عثمان بابا ويرى آخرون بأن بروخيا هو غير عثمان بابا وأنَّ هذا الأخير كان قد خلفه . بينما يرى غير هؤلاء بأن عثمان هو إبن بروخيا وإسمه عثمان بواب وليس عثمان بابا وهو أيضاً يسمى يعقوب كونيو . أنظر حول ذلك G.Scholem, The Messianic Idea in Judiasm, p.153. و I.Ben Zevi the Exiled and The redeemed. pp.141-2. وكذلـــك دائرة المعارف الإسلامية مادة : Donmeh

جمال أخّاذ قلّ نظيره وقد عثر على مخطوط يتضمن كثيراً من أقوال بروخيا إلاّ أنها أقوال تتسم بالغرابة والضعف وأصبح إسم بروخيا يقرن باسم شبتاي في صلوات القره قش وقد خلفه أبناؤه وأحفاده في قيادة هذا الفرع .

وكان أحد خلفائه شخص إسمه أمبرجي رأس هذه الفرقة في القرن التاسع عشر وكان شديداً على أتباعه غير رؤوف بهم مع أنه كان أعمى مُقعداً ولذلك أطلق عليه لقب تيمورلنك(١) .

ويتميز هؤلاء بأنهم يرسلون لحاهم ولا يحلقون شعر رؤوسهم .

ويطلق عليهم أعداؤهم إسم Onyolou أي أصحاب الحيل العشر أو الطرق العشر إذ اتهموا بإضافة أشياء من عقائد أخرى إلى عقيدتهم فأصبحت عقيدتهم وكأنها مأخوذة من عشر عقائد . ويطلق لقب خليفة أو صاحب على خلفاء بروخيا ويحمل رجال دينهم علامة خضراء على ملابسهم . وقد نشط أتباع بروخيا بعد وفاته فذهبوا مرة أخرى إلى أوروبا وأثروا على مجموعة من أتباع شبتاي ـ من غير الدونمه ـ وجعلوهم من أفراد هذا الفرع(٢) .

---

(١) كان تيمورلنك (ت ١٤٠٥ م) ملك المغول وحفيد جنكيزخان أعرجاً.
(٢) وقد عرفت هذه المجموعة فيما بعد بالفرانكية تبعاً لإسم رئيسها يعقوب فرانك .
وقد تميزت هذه المجموعة بالإباحية الجنسية فطاردتها الحكومات فتشتت شملها .

وقد كان أفراد هذا الفرع من أفقر أتباع الدونمه إذ كان يعمل أفراده حاكة وعمالاً وإسكافيين إلاَّ أن وضعهم قد تغير الآن وأصبح الكثير منهم تجاراً خاصة في تجارة الأقمشة . وكان أيضاً آخر الفروع التي انفتحت على المجتمع التركي .

٣ ـ الازميريون : ويطلق عليهم أيضاً القبندجي ويسمون أيضاً أليابولارس وتعني الأنصار الحقيقيين أو القدماء . وهم يطلقون أيضاً على أنفسهم كغاريوس أي الفرسان . وهذا الفرع يمثل المجموعه القديمة من الدونمه وهم لا يعترفون بقوريدو ولا ببروخيا وظلّوا ملتصقين بالعقيدة الأصلية لشبتاي ويعتبرون أنفسهم الممثلين الحقيقيين لها . ولذلك أطلقوا على أنفسهم الأزميريين تأكيداً على ارتباطهم بشبتاي الذي كان قد ولد في أزمير .

وهم من بين الفروع الثلاثة الذين يحلقون لحاهم ويرسلون شعر رؤوسهم ونساؤهم يضفرن شعورهن ضفائر رفيعة جداً . وقد كانت هناك محاولات لتوطيد العلاقة بينهم وبين اليعقوبيين إلاَّ أنها فشلت . ولقد أطلق عليهم أيضاً إسم إبراهيم اغالر تبعاً لإسم أحد رؤسهائهموقد كان أغلب الحلاقين في سالونيك من هذا الفرع ولكن في الفترة الأخيرة أصبح أكثر المثقفين منهم .ويجب أن نذكر هنا بأن هذه الفرقة ظلّت تعيش في أحياء خاصة بها . وتقول رواياتهم بأنَّ الحكومة التركية كانت قد منحت لهم هذه الأماكن المخصصة بهم جزاءً لهم على اعتناقهم الإسلام[١] . وفي نهاية القرن الماضي ،

---

(١) G.Scholem, the Messianic Idea in Judiasm, pp.154-8.

طالب شباب الفرقة زعماءهم بالإنفتاح على الشعب التركي ، والإختلاط به ، وطالبوا أيضاً بتطوير تعليمهم . وعلى الرغم من هذا الإنقسام في الفرقة إلّا أنّ فروعها تعمل وتخطط سوية ولها مجلس أعلى يمثل مصالحها العامة[1] .

---

(١) انظر حول موضوع فروع الدونمه :
دائرة المعارف اليهودية مادة : Donmeh
ودائرة المعارف الإسلامية مادة : Donmeh
و I.Ben- Zevi The Exiled and the Redeemed p.141-143.
والمصدر السابق G.Scholem, pp.152-4.

تبادل الزوجات

مسألة تبادل الزوجات من الأمور التي أثارت فضول الباحثين فيما يتعلق بهذه الفرقة . ويميل أكثر هؤلاء إن لم يكن كلهم إلى أنَّ هذه القضية ليست تهمة ألصقت بهذه الفرقة بل هي حقيقة قامت عليها أدلّة ونحن إذ نذكر ما قاله هؤلاء الباحثون واستدلوا به فإنَّ ذلك لا يعني ترسم خطاهم في هذا الأمر أو مشايعتهم عليه ، وإنما نذكر ما نذكر لإطلاع القارىء على هذه المسألة الخطيرة والمهمة . لأنَّ عدم التطرق لها يجعل البحث في موضوع الدونمه ناقصاً غير كامل ثم إني بعد أن أعرض هذه القضية معتمداً على المصادر التي ذكرتها لا أراني ملزماً بإبداء رأيي نحوها .

لقد ذكر بأنّ تبادل الزوجات هو طقس ديني من طقوس فرقة الدونمه أو بعض فروعها على الأقل . وقد استدلّ الباحثون على ذلك بعدة أدلّة منها :

أن يعقوب قوريدو كان يرى ـ كما ذكر ذلك عنه ـ بأنَّ الذنب

سيكفر عنه عندما يزداد اقتراف الذنوب من قبل الناس . وهو يستند في ذلك على جملة وردت في التلمود ذكرتها سابقاً وهي « إن المسيح يظهر إذا كان الناس كلهم مذنبين تماماً أو مبرئين من الذنوب تماماً » . ولما كان من الصعوبة أن يكون الناس أبرياء ـ كما يقول قوريدو ـ إذن يجب أن يتّجه الناس إلى الإكثار من الذنوب . ولذلك فقد اتّجه أتباعه إلى الزنا وغيره . وكان قوريدو يرى بأنه لا مانع من ذهاب المرأة إلى الرجل المتزوج إذا كانت تميل نحوه ولا يمانع أيضاً أن تترك المرأة المتزوجة زوجها والذهاب مع من تحب . وقد اكتشف الحاخامون اليهود في سالونيك هذه الممارسة فاشتكوهم إلى الحكومة العثمانية لأنه لم يكن لهم سلطان عليهم فاتخذت الحكومة إجراءات معينة حول ذلك .

ومنها الرواية التي يتناقلها الدونمه فيما بينهم والتي تقول بأن درويش أفندي رئيس فرع الأزميريين عام (١٨٠٠ م) لم يكن قبالياً فحسب وإنما كان يدعو بشكل صريح إلى الإلتزام بمبدأ طقس الإباحية الجنسية وكان يستدل على صحة هذا المبدأ بأدلة من كتاب « الزهر » وتراث القبالة . ولقد تأكدت هذه الرواية عندما عثر على مخطوط دونمي يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر وطبع عام (١٩٦٠ م) . ففي هذا المخطوط أفكار وأقوال تتفق تماماً مع تلك التي كان يدعو لها درويش أفندي[٢] .

---

(١) S.Dubnov. The History of the Jews, vol.4, p.81.

(٢) G.Scholem, The Messianic Idea in Judiasm, p.162.

ومن هذه الأدلة أنّ بروخيا كان قد أحلّ الزواج بالمحارم التي نصت عليها التوراة وأباح ما كان محرماً فيها بل وأوجب العمل به[١] . ومن ذلك أيضاً ما ذكره أحد الطلاب من الدونمه عام (١٩١٠) إلى زملاء له من اليهود بأن طقس تبادل الزوجات كان يمارس في فرقته[٢] . وقال طبيب دونمي عام (١٩٢٤ م) بأنّ جدّه كان يشارك في عملية تبادل الزوجات في سالونيك[٣] .

ومنها أيضاً ما نسب إلى أحد أفراد الدونمه من عام (١٩٢٥ م) من أنّ هذا الطقس لا يحضره إلاّ المتزوجون[٤] وقال أحدهم أيضاً بأنّ هذا العمل كان يمارس في الماضي وإنّ ممارسته كانت من قبل فرع القره قش وأنه هو لم يره بنفسه وقال أيضاً بأنه كلما حاول حضوره قيل له بأنه غير متزوج وعندما يتزوج سيعرف كل شيء عنه[٥] . وكان أحد الباحثين في هذا الموضوع قد أخبره أحد رؤساء فروع فرقة الدونمه بأنّ أعضاء الفرع الذي ينتمي إليه قد مارس الإباحية الجنسية وقال له بأنّ هذا كان بأمر درويش أفندي وقد أخبره أيضاً بأنّ هذا العمل قد توقف أيام السلطان العثماني عبد العزيز[٦] .

(١) دائرة المعارف اليهودية مادة : Shabbatai Zevi

(٢) I. Ben Zevi, The Exiled and the Redeemed, pp.224-5.

(٣) المصدر نفسه .G.Scholem, p.162

(٤) A.Kucuk, Donmeh ve Donmelik Tarihi, p.224.

(٥) A.Galante, Nouveaux Documents sur Sabbatai Sevi, pp50-1.

(٦) المصدر نفسه .I. Ben Zevi, p.151

(ت ١٨٧٦ م) . وقد نظم أحد شعرائهم وإسمه يهودا لفي طوبا (عاش في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر) بعض الأناشيد التي يعتقد بأنها نظمت بشكل خاص لهذا الطقس . فهذا الشاعر يمجد « إباحة المحرم » ويذكر جملة « الجنود حرروا من الواجبات » ومصطلح الجنود يشير إلى الدونمه أنفسهم أي إنهم جنود لمحاربة ال « قلفّا » أي الشر والشياطين . وهو يذكر كذلك الأكل وفتح الوردة وكلمات : تزويد وإعارة ومنضدة وكل هذه لها علاقة بهذا الطقس . وإلى جانب هذا الشعر فقد كتب هذا الشاعر عن موضوع إباحة المحارم وقد استشهد بأدلّة من التراث اليهودي وقد فسّر ما استشهد به بطريقته الخاصة ليدلل على إباحة هذا العمل . وهذه التفسيرات مبنية على الإعتقاد بثنائية التوراة أي التوراة الحالية والتوراة الروحية . ولقد أخذ سلوك النبي أليسع مع المرأة الشونمية وزيارته لها وعلاقته بها والتي وردت قصتها في سفر الملوك الثاني ٤/٨ - ٣٧ كنموذج لجواز هذا العمل[١] .

أما الطريقة التي يطبق بها هذا الطقس فقد ذكرها أحد المهتمين بهذا الموضوع على الشكل التالي :

« في ليلة الثاني والعشرين من آذار والتي تسمى ليلة الحَمَل[٢]

(١) المصدر نفسه .G.Scholem, p.163

(٢) لأن الحمل المشوي هو الطبق الرئيس لهذا العشاء . وأيضاً فإن هذه المرة الأولى من السنة التي يأكلون فيها اللحم .

ـ وأحياناً يسمى الاحتفال عيد بداية الربيع ـ تجتمع مجموعات من الأزواج والزوجات في مكان ما وتلبس الزوجات أحسن ملابسهن وأجمل حليهن ثم تكون هناك صلاة خاصة وبعد نضج العشاء تقوم الزوجات بتوزيعه على الحاضرين وبعد العشاء تطفأ الأنوار وتبدأ عملية تبادل الزوجات ويعتبر الأولاد الذين يولدون من هذا الإتصال أولاداً متميزين لأنّ الدونمه يعتقدون بأن شبتاي يحضر هذا الإتصال »[١] . وكان هذا الإحتفال قد ذكر منذ عام (١٧٥٠ م) وأنه أحد إحتفالات أتباع بروخيا وإن كان يوم الإحتفال غير مذكور[٢] . وقد ذكرت سابقاً بأنّ هذا العيد هو عيد لعامة الدونمه .

ويرى إسحق بن صبّي بأنّ هناك أسباباً للتصديق بأنّ هذا الأمر ما زال معمولاً به إلى الوقت الحاضر (عام ١٩٥٨ م وهو عام نشر الكتاب) خصوصاً بين فرعي الأزميريين والقره قش من فروع الدونمه . وقد ذكر أحد الأشخاص المهمين منهم إسمه صموئيل أسل بأنّ مجموعته كانت قد أُمرت بتطبيق هذا الطقس إلى جانب وجود حالات من الإباحية الجنسية . ويعلق الكاتب المذكور على ذلك بأنّه يجب أن يكون هناك شيئان تبادل الزوجات والإباحية الجنسية[٣] .

هذه هي بعض أدلّة المثبتين لهذا العمل أما النافون له فإني لم

---

(١) المصدر نفسه .A.Galante, p.50-1

(٢) المصدر السابق .G.Scholem, p.164

(٣) المصدر السابق .I. Ben - Zevi, p.313

أطلع إلَّا على ما ذكره أحد أفرادها بأنه على الرغم من أنَّ هذا الإحتفال لا يحضره إلَّا المتزوجون فإنَّ الهدف منه هو تعميق الصداقة والأخوة بين أفراد الدونمه وليس الغرض منه تبادل الزوجات .

الدونمه بين اليهودية والإسلام

على الرغم من أنَّ مؤسس هذه الفرقة قد تظاهر بالإسلام وأدّى بعض الشعائر الإسلامية بل ودعا اليهود إلى الإسلام كما رأينا إلاَّ أن ذلك لم يكن عن عقيدة صادقة . فشبتاي صبّي لم يترك الشعائر الدينية اليهودية تماماً بل إنه كان يؤدي الكثير منها فكان يحيى رأس السنة اليهودية ويصوم يوم الغفران ويحتفل بعيد البوريم . ويذكر أنه في عام (١٦٧٢ م) ، احتفل بعيد البوريم في أحد بيوت اليهود كما يحتفله اليهود وفي السبت الذي بعده ذهب إلى المعبد اليهودي للجالية البرتغالية في أدرنة وأدّى الصلوات . ثم إنه عندما تزوج آخر زوجة له رفض أن يكون عقد زواجه حسب الشريعة الإسلامية . ثم إنه بوقت قصير من وفاته كان قد أرسل على كتاب صلوات مكتوب باللّغة العبرية من الجالية اليهودية في مدينة برات في ألبانيا وهذه الرسالة ما زالت محفوظة بخطه[١] .

---

(١) G.Scholem, Sabbatai Sevi, p.898.

وكان أيضاً لا يدعو أتباعه الذين أسلموا بأسمائهم الإسلامية التي اتخذوها بل بأسمائهم اليهودية .

أما بالنسبة إلى الدونمه فإنَّ الشكوك ظلّت تحوم حولهم من قبل الحكومة العثمانية ولذلك كانت التحقيقات تجري بين وقت وآخـر حول سلوكهم . ففي عام (١٨٥٩ م) أمر حسّني باشا حاكم سالونيك بإجراء تحقيق مع الدونمّه فوجد من جملة ما وجد مدارس خاصة بهم تدرس الإسلام بشكل مشوّه وبعد ذلك أخذ الدونمة يحذرون الحكومة ويزيدون من تكتمهم إلاّ أن الشكوك أُثيرت حولهم مرة أخرى فأجري تحقيق آخر معهم عام (١٨٧٥ م)[١] .

وقد كان العلماء المسلمون في سالونيك لا يصدقون الدونمه في إسلامهم ، وإنَّ أكثر من كتب عنهم ذكر بأن إسلام الدونمه هو كإسلام مؤسسها ليس إسلاماً مبنياً على عقيدة وإيمان بهذا الدين بل إنه اتخذ غطاء لمعتقدهم الحقيقي . وهذا واضح من الأصول التي بنيت عليها عقيدة هذه الفرقة وأدبياتها وتراثها الذي وصل إلينا منها بجانب إعتراف بعض هؤلاء (وإن كان هذا الإعتراف قليل الحدوث) بأنَّ فرقته ليست فرقة إسلامية . وقد مرّ بنا الحديث عن أصول عقيدتهم وقد رأينا بأن المحور الذي تدور حوله هذه العقيدة هو شبتاي صبّي وأنَّ كثيراً من صلواتهم مأخوذة من كتب يهودية . وإن

(١) J.prinz, The Secret Jews, pp.121-122.

ألفاظاً مثل إسرائيل وصهيون وربّ إسرائيل كثيرة الإستعمال عندهم .

ومن الأدلّة التي تذكر عليِ عدم صدق إسلامهم هو أنهم لا يذكرون الإسلام في أدبياتهم إلاّ بالسوء . وكذلك لم يلجأوا في أي وقت من الأوقات إلى القضاء الإسلامي أو المحاكم الإسلامية (كما رأينا في تعاليمهم السابقة) بل إنهم يلجأون إلى التوراة في الحصول على الأحكام الشرعية ولا شك أنّ الطريق إلى ذلك هو الحاخامون . وهذا ما حصل فقد ثبت أن الدونمه كانوا على اتصال بهؤلاء وقد اكتشف بأن مكتبة الدونمه كانت تَضُم فتاوى كتبها حاخامون حتى عام (١٩١٤ م) والكثير من أسماء هؤلاء الحاخامين معروفة .

وقد ذكر أحد الذين تركوا فرقة الدونمه وإسمه قره قش زادة محمد رشدي في مجلس الأمة التركي في الثلث الأول من هذا القرن بأنّ الدونمه ما هم إلاّ يهود باطنيون ولا يمتّون إلى الإسلام بصلة ولقد اتهم الدونمه هذا الشخص بالخيانة بعد ما قاله عنهم . وأدعوا بأنّ ما قاله إنما كان بدافع الحصول على منافع شخصية[١] وقد عثر مؤرخ تركي في عام (١٩١٥ م) في مكتبة للدونمه في سالونيك على مجموعة من مخطوطاتهم وكان من جملة هذه المخطوطات ما يقرب من أربعين من الأناشيد الشعبية وكانت الظاهرة المميزة لهذه الأناشيد أنّ ناظميها لا يختلفون عن اليهود سوى أنهم يمجدون كثيراً

---

(١) I.Ben- zevi, The Exiled and the Redeemed, p.313.

مؤسس فرقتهم شبتاي صبّي[١] . وإن كتاب الصلوات المخطوط الذي ذكرته سابقاً كان قد طبع في عام (١٩٤٢ م) وقد تبين أنَّ أكثره مأخوذ من كتابي الصلوات لليهود السفارديم أي السدور والمحزور مع التركيز كذلك على شبتاي صبّي بأنه المسيح المنتظر والمنقذ المخلص . وهم يتلون في نهاية الصلاة الصباحية أصول عقيدتهم بدل أصول العقيدة اليهودية الثلاثة عشر التي يقرؤها عامة اليهود . ومن يقرأ هذه الصلوات لا يساوره أدنى شك بأن الدونمة لا تشج لهم بالإسلام وشيجة ولا تصلهم به أية صلة .

ويجب أن نذكر هنا بأن الدونمه كانوا قد قدموا طلباً إلى علماء الدين اليهود في سالونيك طالبين قبولهم ضمن اليهودية الرسمية لكن طلبهم رفض . وقد علل الرفض ـ كما قيل ـ بأن الدونمه أولاد غير شرعيين لما ذكر عنهم في موضوع تبادل الزوجات والإباحية الجنسية[٢] .

وهناك أيضاً أكثر من دليل على أنَّ الدونمه رغبوا إلى حكومة اليونان قبل عملية تبادل السكان بين اليونان وتركيا ـ أن توافق على بقائهم في اليونان بعد أن يعلنوا عن أنفسهم بأنهم يهود ولكن حكومة اليونان لم توافق على ذلك . وعندئذٍ وقبل هجرتهم إلى داخل تركيا من سالونيك ـ أهدت بعض العوائل كتباً مخطوطة خاصة بالفرقة إلى أصدقاء يهود ولم يعلن عن هذه الكتب إلى الآن . ونتيجة لحالة

---

(١) المصدر نفسه .I.Ben- Zevi, p.137

(٢) المصدر نفسه .I.Ben Zevi, p.152

مشابهة أن عدداً كبيراً من الكتب الدونميه المخطوطة ـ خاصة من فرع الأزميريين ـ من القرن التاسع عشر أخذت إلى إسرائيل وهي الآن في معهد بن زفي التابع للجامعة العبرية(١) .

وعندما احتل الحلفاء اسطنبول عام (١٩١٨ م) وعينوا بعض الناس من الأقليات الدينية في وظائف في مقر الحلفاء قدم مجموعة من الدونمه طلباً للعمل على أنهم يهود ولكن طلبهم لم يقبل على هذا الأساس . وقد كانت هناك محاولات من أفراد الدونمه للهجرة إلى فلسطين .

---

(١) G.Scholem, The Messianic Idea in Judiasm, pp.159-160.

الدونمة في تركيا الحديثة

في عام (١٩٢٤ م) أو بعده بقليل أجبر رعايا تركيا وبضمنهم الدونمه على مغادرة سالونيك والهجرة إلى داخل تركيا وقد استقر أكثرهم في اسطنبول . ومنذ أن كان الدونمه في سالونيك كان لهم دور بارز في الحياة السياسية والإقتصادية لتركيا الحديثة . وأهم تأثير سياسي كان لهم عليها مشاركتهم الفعالة في جمعية الإتحاد والترقي التي قادت الإنقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني في بداية هذا القرن . وقد أكد الباحثون في تاريخ هذه الجمعية والمعاصرون لها دور اليهود والدونمه في نشاطها وتأثيرهم عليها وهو تأثير نعتقد بأنَّ آثاره ما زالت تعيشها تركيا اليوم وأود أن أذكر هنا بأننا عندما نتحدث عن هذا التأثير فإن ذلك لا يعني بالضرورة أنَّ الأعضاء المسلمين كانوا واعين لذلك أو عارفين به . وليس من غرضنا أن نشير إلى هذا الموضوع أو نتعرض له هنا وربما تكون لنا عودة له في المستقبل .

وأرى قبل أن أذكر دور الدونمه أن أُقدم لذلك بالحديث عند تأثير اليهود على هذه الجمعية أولاً .

فقد جاء في الوثيقة البريطانية السابقة الذكر عن تأثير اليهود على الجمعية ما نصّه :

« ويبدو أنَّ عنصر التخطيط الرئيسي لهذه الحركة[1] في سالونيك كان يهودياً . . . وبعد فترة قصيرة من الثورة في عام (١٩٠٨ م) عندما أنشأت الجمعية مركزها في القسطنطينية تبين بعد وقت قصير من ذلك أنَّ أعضاءها القادة كانوا ماسونيين وقد بدأ (كراسّو) يقوم بدور خطير . ومن ذلك نجاحه في السيطرة على الجمعية في البلقان . وتبين أيضاً أنَّ اليهود الأجانب والأتراك على اختلاف اتجاهاتهم كانوا مؤيدين متحمسين للوضع حتى إنَّ الأتراك أخذوا يقولون بأنَّ كل يهودي هو جاسوس بالقوة للجمعية الخفية وبدأ الناس يقولون إنَّ الحركة هي حركة يهودية أكثر مما هي ثورة تركية » .

وجاء فيها أيضاً : « إنَّ اليهود قد زودوا هذه الحركة بالأموال ولذلك أحكموا السيطرة عليها ومن أجل أن تبقى هذه السيطرة يجب أن يظهر اليهود على الأقل بأنهم إنما يدعمون الحركة من أجل تحقيق أحلامها القومية . . . . وإنَّ اليهود الشرقيين المتمرسين على استعمال القوة الخفية والماسونية السياسية العالمية قد أختيروا من أجل أن يكونوا الرابطة الفعّالة والغطاء الذي يخفي تحته الأعمال

---

(١) أي جمعية الإتحاد والترقي

السرية للحركة »[١] .

ويبدو أنَّ هذا النشاط اليهودي في جمعية الإتحاد والترقي التي أشارت له الوثيقة كان يعرفه كتاب ومعاصرون لهذه الفترة من أبناء المنطقة . وقد كتبوا بدورهم عن هذا النشاط وانتقدوه وحذروا منه . وقد جاء الآتي في واحدة من مجلات تلك الفترة :

« لكن الماسونية الشرقية حتى هذه الأزمنة الأخيرة كانت بأيدٍ أجنبية لا يكاد يلوح فيها عمل اليهود فلما أُعلن الدستور وتمّ الإنقلاب العثماني ظهرت اليهودية في أتمّ مجاليها وكل يعلم أنَّ مركز الإنقلاب إنما كان في سالونيك واليهود نيف وسبعون ألفاً فلما أنشئت جمعية الإتحاد والترقي تحت سيطرة الماسونية كان للضباط وجندهم القوة العاملة . أما التدبير لتنفيذ العمل وإخراجه إلى حيز الوجود فكان في أيدي الموسويين الذين تعهدوا بدفع المبالغ المالية اللازمة لذلك المشروع ثم نفذ بالفعل فأسرع الموسويون وتربعوا مع الضباط في دست السلطة وقاسموهم الغنائم الحميدية . ولما أراد السلطان السابق أن يتخلص من ربقة الدستور وجرى من الحوادث ما جرى في آواخر نيسان عام (١٩٠٩ م) أرسل إليه[٢] وفد يؤذنه بالخلع وكان من جملة الساعين بالأمر رئيس محفل الماسون في سالونيك وهو يهودي مع أحد المسلمين اليهود »[٣] .

---

(١) انظر ص ٦ من الوثيقة .

(٢) في الأصل : إلى عبد الحميد .

(٣) مجلة المشرق ، العدد الثامن (آب ١٩١١ م) ص ٦١٧ - ٦١٨ .

وقال السيد رشيد رضا في مقال له عن هذه القضية : « إنَّ بعض زعماء جمعية الإتحاد والترقي يريدون أن تبقى الدولة في أيديهم يديرونها كما يقررون فيما بينهم بزمامي حزبهم في مجلس الأمة ورجالهم في وزارات الباب العالي وسائر المصالح يؤيدهم في ذلك طائفة من ضباط الجيش . . . وإنهم يديرون نظام حزبهم في المجلس بطريقة تجعله آلة في أيدي من فيه من زعماء الجمعية كطلعت بك ورحمي بك وجاويد بك وخليل بك ومن يليهم في النفوذ كجاهد بك وإسماعيل حقي بك . . . وإنَّ هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من أعضائها كما ينشرونها في ضباط الجيش وقد يكون هذا تمهيداً للفصل بين السياسة والدين وتجريد السلطان من صفة الخلافة الإسلامية . . . وإنَّ من لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضي إلى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد به إعادة ملك إسرائيل إلى وطنهم الأول وإلى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد »[١] .

وكتب أيضاً « وقد كان المؤسسون لها (أي الماسونية) والعاملون فيها في أوروبا من النصارى واليهود . واليهود هم زعماؤها وأصحاب القدح المعلى فيها . . . وكذلك كان اليهود أكثر الناس انتفاعاً من الإنقلابات التي سعت إليها الماسونية في أوروبا وسيكون كذلك في البلاد العثمانية إذا بقيت سلطة الماسونية على حالها في

---

(١) انظر مجلة « المشرق » العدد نفسه ص ٦١٠ .

جمعية الإتحاد والترقي وبقيت أزمة (أمور) الدولة في يد هذه الجمعية »[1] .

فمن اليهود المعروفين الذي يذكر إسمه في تاريخ هذه الجمعية ونشاطها (عمانوئيل كراسو) الذي ذكرته الوثيقة البريطانية وهو محام من سالونيك وقد كان الرئيس الأكبر للمحفل الماسوني « مسدونيا رزورتا » . وكان (كراسو) ينظم لقاءات أعضاء الجمعية في المحفل المذكور . وقد جاء في الوثيقة المذكورة عن هذاالموضوع ما هذا نصه :

وقيل بضع سنين أنشأ عمانوئيل كراسو ـ وهو يهودي من سالونيك الذي يمثل الآن هذه المدينة في مجلس الأمة العثماني ـ بالتعاون مع الماسونية الإيطالية محفلاً في سالونيك يسمى « مسدونيا ريزورتا » . ويبدو أن كراسـو قد أقنع رجال تركيا الفتاة ضباطاً ومدنيين بالإنتماء إلى الماسونية . وهدفه من ذلك جعل النفوذ اليهودي غير المقبول مسيطراً على الأوضاع الجديدة في تركيا وإن كان قد تظاهر بأنه إنما أراد بذلك مساعدة رجال تركيا الفتاة في تضليل جواسيس السلطان عبد الحميد ومنحهم الأمن في محفله الماسوني لأن مقرّ المحفل في بيت أجنبي يتمتع بحصانة أكبر ضد أنواع التفتيش »[2] .

---

(١) المصدر نفسه ص ٦١٩ .

(٢) انظر ص ١ .

وبجانب هذا فقد كان لكراسّو نشاط في سياسة تركيا بعد الإنقلاب مباشرة فعدا عن كونه عضواً في مجلس الأمة التركي فقد كان أيضاً أحد أعضاء الوفد الذي أخبر السلطان عبد الحميد بتخليه عن السلطة وكان كذلك أحد أعضاء اللجنة (أو رئيسها) التي وقعت معاهدة الصلح بين تركيا وإيطاليا عام (١٩١٤ م) وكان أيضاً مستشاراً للحكومة التركية أثناء الحرب العالمية الأولى . وقد استغل (كراسو) نفوذه هذا ليصبح من أغنياء تركيا وأثريائها . وقد ساءت علاقته بمصطفى كمال أتاتورك فيما بعد فحجز هذا على أمواله فهاجر (كراسّو) إلى إيطاليا ومات فيا عام (١٩٣٤ م)[١] .

ومن اليهود المعروفين في هذه الفترة (عمانوئيل رفائيل سالم) الذي يسمى في المصادر التركية أحياناً باسم (منير سالم) وهو محام من سالونيك له اختصاص بالقانون الدولي وقد كان مستشاراً للبعثات الدبلوماسية الأوروبية خاصة بما يتعلق بالإمتيازات الأجنبية . وقد أصبح بعد الإنقلاب عضواً مهماً في مجلس الإصلاح القانوني الذي وضع أسس القانون لجمهورية تركيا الحديثة وكان أيضاً عضواً في الوفد التركي إلى مؤتمر لوزان عام (١٩٢٢ م) وكان هو المسؤول عن البنود التي تتعلق بوضع الدردنيل وكذلك عن بنود الإمتيازات الأجنبية في الإتفاقية التي نتجت عن هذا المؤتمر . وقد غادر تركيا بعد ذلك إلى فرنسا وأصبح فيها رئيس طائفة اليهود السفارديم[٢]

---

(١) دائرة المعارف اليهودية مادة : crasso

(٢) دائرة المعارف اليهودية مادة : Salem

ومن اليهود الذين برزوا بعد الإنقلاب (أبراهام جلنت) . وكان قد غادر تركيا إلى مصر أيام السلطان عبد الحميد فأصدر جريدة فيها إسمها « لافارا » يحارب فيها السلطان وكذلك كان يكتب في هذا الإتجاه في الصحف الفرنسية والعربية وبعد الإنقلاب أصبح عضواً في مجلس الأُمة واستاذاً في جامعة اسطنبول . ومعروف عن هذا الرجل أنه كان من الداعين إلى تغيير الحرف العربي في اللغة التركية إلى الحرف اللاتيني والمشجعين عليه والمشاركين فيه[1] والواضعين لأسس هذا التغريب الذي أُريد منه إخراج تركيا من عالم الإسلام .

وكان من اليهود الإتحاديين (نسيم مازلياح) وقد كان ممثلاً لمدينة أزمير في مجلس الأُمة التركي وكان قد صحب (طلعت بك) إلى منفاه في ألمانيا .

ويعتقد أنَّ الدكتور (ناظم) من أصل يهودي كما تذكر الوثيقة السابقة وكان هذا أحد أعضاء الجمعية البارزين . ومما ذكر عنه بأنه ذهب إلى باريس مع أحد الدونمه وإسمه (فائق بك توليدو) واتفق مع جمعية الإستعمار اليهودي في باريس على تهجير (٢٠٠ الف) من اليهود الرومانيين إلى (مسدونيا) وبضعة ملايين من اليهود الروس إلى بلاد ما بين النهرين .

وكان مدير وكالة الأخبار في هذه الفترة التي تسيطر على الأخبار الداخلية والخارجية رجلاً يهودياً من بغداد وكذلك السكرتير

---

(١) دائرة المعارف اليهودية مادة : Galante

الخاص لرئيس الوزراء (حقي باشا)[١] .

ومن الصحف التي كان يدعمها اليهود ويمولونها في هذه الفترة صحيفة « تركيا الفتاة » التي كانت فرحتها لا حدود لها عند خلع السلطان عبد الحميد الذي وصفته بـ « مضطهد اليهود » . وصحيفة « شفق » أيضاً كانت تموّل بأموال يهودية وكان من جملة ما تردده وتؤكد عليه أنَّ مصر جزء من إسرائيل المستقبل[٢] . وكذلك صحيفة « عثمان نيتشرلويد » التي كان يرأس تحريرها اليهودي الاشكنازي سامو هشبورغ[٣] .

ومن الصحف التي كان لليهود سلطان عليها هي صحيفة « طنين » التي كان يرأس تحريرها (حسين جاهد بك)[٤] الذي كان

---

(١) انظر الوثيقة المذكورة ص ٥ .
(٢) المصدر نفسه ص ٥ .
(٣) مجلة « المشرق » العدد نفسه ص ٦١٨ .
(٤) حسين جاهد يالجيش (ت ١٩٥٧ م) صحفي وكاتب تركي معروف ، كان قبل الانقلاب يترجم للسلطان عبد الحميد بعض القصص والروايات وكان له دور في (جمعية الإتحاد والترقي) في المجالين الصحفي والسياسي . ويرى بعض الكتاب بأنه من الدونمه ولكن ذلك لم يتحقق عندي .
كذلك لم يتأكد عندي الأصل اليهودي والدونمي للكاتبة التركية (خالدة أديب) التي كانت ذات تأثير على (حسين جاهد) وآخرين من أعضاء الجمعية مثل (مصطفى كمال أتاتورك) . ولخالدة أديب الكثير من المقالات ولها بعض الكتب أيضاً .
وكانت هذه الكاتبة من أكثر النساء نشاطاً في الجمعية وأكثرهن دعاية لها ودعوة إليها ومن ألذعهن نقداً لحكم السلطان عبد الحميد .

مستشارا خاصاً لمحمد جاويد بك وكان أيضاً عضواً في مجلس الأمة التركي .

ومن نتائج التأثير اليهودي الذي ذكرناه ما صرّح به (طلعت باشا) وهو أحد أقطاب لجنة الإتحاد والترقي إلى مراسل صحيفة ألمانية صهيونية « إن تركيا تؤيد توطين اليهود في فلسطين وأنّ القيود الحالية سترفع وستكون الهجرة دون قيد أو شرط في حدود إستيعاب البلد للمجموعة المهاجرة وسيكون لليهود حكومتهم ونظامهم الإقتصادي وثقافتهم الخاصة بهم ضمن الإطار العام للقانون العثماني »[١] .

أما بالنسبة إلى تأثير الدونمه على هذه الجمعية فهو لا يقل عن تأثير اليهود وقد لاحظ ذلك وشخصه قسم من الباحثين في تاريخ الجمعية وتاريخ فرقة الدونمه . وكان أكثر الدونمه المشتركين في هذه الجمعية ينتمون إلى فرعي اليعقوبيين والأزميريين[٢] .

فقد ذكر Lukach ما نصه :

« بعد أن بقيت فرقة الدونمه لأكثر من قرنين من الزمن مجهولة عند الناس أصبح لها بروز سياسي مهم في تركيا في العصر الحديث وذلك للدور البارز الذي لعبه بعض أعضائها في لجنة الإتحاد

(١) دائرة المعارف اليهودية مادة : Zionism

(٢) G.Scholem, The Messianic Idea in Judiasm, p.154.

والترقي »[1] .

وقد ذكر أيضاً أحد الكتاب المعاصرين بأنَّ :

« العقول الحقيقية للحركة كانت يهودية أو يهودية ـ إسلامية (دونمه) وقد جاءت لهم المساعدات من أغنياء الدونمه وكذلك من اليهود الذين كانوا في سالونيك بجانب المساعدات من الرأسماليين العالميين وشبه العالميين في فيينا وبوداست وبرلين ومن المحتمل أيضاً من باريس ولندن »[2] .

وكان السلطان عبد الحميد عالماً بدور الدونمه في الجمعية وكان قد طلب من حاخام اسطنبول (موشي ليفي) أن يكتب له تاريخهم فاقترح هذا على حاخام سالونيك أن يقوم بهذه المهمة فأنجز هذا الأخير العمل ثم ترجم إلى التركية وقدم إلى السلطان وأعطى السلطان (٤٠٠ ليرة) ذهبية مكافأة على ذلك[3] .

وقد ذكر أيضاً بأنَّ السلطان كان حذراً ومتردداً بل وغير قادر على القيام بعمل ضدهم . فقد ذكر أحد الذين كانوا يعرفون السلطان عن قرب :

« بأن عبد الحميد كان يعلم بحقيقة أنَّ الدونمه كانوا أعضاء

---

(١) H.C.Lukach, The city of Dancing Dervishes, p.188.

(٢) R.W.Seton-ivatson, The rise of Natiqnality in the Bulqans, pp.134-5.

(٣) A.Galant, Nouveaux Documents sur sabbatai, pp.75-6.

نشيطين في الحركة ضده ولكنه كان متردداً في أخذ قرار ضدهم بسبب تاريخهم الغريب الذي سبب له خوفاً وهمياً منهم »[1] .

ومن سياسيي الدونمه البارزين محمد جاويد بك وقد كان من قادة (جمعية الإتحاد والترقي) وكان أحد وزراء ثلاثة من الدونمة في أول حكومة شكلتها الجمعية بعد الإنقلاب على عبد الحميد وقد شغل (محمد جاويد بك) وزارة المالية لأكثر من ثلاث مرات حتى عام (١٩١٨ م) وقد كتب عدة كتب أهمها كتابه « علم الإقتصاد » في أربعة مجلدات و(محمد جاويد بك) هذا كان حفيداً لبروخيا مؤسس فرع القره قش من الدونمة وكان رئيساً له في وقته وقد أعدم عام (١٩٢٦ م) متهماً بالتآمر ضد مصطفى كمال أتاتورك[2] وقد نعرف أهمية (محمد جاويد بك) وسلطته ونفوذه بعد الإنقلاب من خلال ما ذكرته الوثيقة البريطانية الآنفة الذكر حيث جاء فيها :

« إن طلعت بك وزير الداخلية الذي هو من أصل غجري من كرجالي في مقاطعة أدرنة وجاويد بك وزير المالية الذي هو يهودي باطني هما التجسيد الرسمي للقوة الخفية للجمعية وهما فقط الوزيران اللذان يحسب لهما حساب حقيقي وهما أيضاً يمثلان قمة الماسونية في تركيا »[3] .

وجاء فيها أيضاً : « وكان من نتيجة ذلك أنَّ المحفل

---

(١) E.E.Ramsaur, The young Turks, p.97.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة : Jdawid

(٣) ص ٤ .

الإنجليزي قد أغلق أبوابه بوجوه جميع الماسونيين الجدد بضمنهم أعظم الوزراء نفوذاً وتأثيراً : طلعت بك وجاويد بك وهذان الوزيران اللذان يسيطران على جيوش تركيا وماليتها والأحكام العرفية والبرلمان وبكلمة واحدة يسيطران على أقدار الإمبراطورية بصورة عامة من الطبيعي أن يستاءا من الرفض الإنجليزي »[١] . وكان رئيس فرع (جمعية الإتحاد والترقي) في القسطنطينية رجل ماسوني من الدونمه وكان هذا الفرع هو أقوى فروع الجمعية[٢] .

ومن الدونمه البارزين في هذه الفترة رمزي بك الذي كان أحد قواد الجيش والذي أصبح فيما بعد رئيساً لمساعدي السلطان محمد رشاد الخامس[٣] وأخوه شفيق كان المسؤول عن السلطان عبد الحميد في سالونيك بعد خلعه .

وقد ذكرت الوثيقة الريطانية أنَّ مدير المطبوعات في فترة ما بعد الإنقلاب كان من الدونمه وقد وصفت مركزه بالآتي :

« بأن مدير المطبوعات يتمتع بسلطات واسعة حيث كان يستطيع أن يوقف أيّة صحيفة عن الصدور إذا وجهت إلى العهد الجديد أيّ نقد شديد وكان نقد النظام يوصم بالرجعية كما كان بإمكانه أن يوصل صاحب الجريدة ومحررها إلى المحاكم العسكرية

---

(١) ص ٦ .
(٢) أنظر الوثيقة أعلاه ص ٢ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢ .

بأخذ مالك الصحيفة أو رئيس تحريرها إلى المحاكم العسكرية »[١] .

ومن أعضاء الدونمه الذين كان لهم دور سياسي بارز (نزهت فائق) و (مصطفى عارف) اللذين كانا وزيرين وقد كان الأخير وزيراً للداخلية بعد الإنقلاب .

ومنهم أيضاً (مصلح الدين عادل) الذي كان نائباً لوزير التربية[٢] . وقد برز من أعضاء الدونمه كتاب وأساتذة جامعيون وصحفيون . ومنهم أيضاً تجار وصناعيون .

وكان الدونمه يملكون صحيفة « وطن » المعروفة وقد كانت من أكبر الصحف التركية وقد رأس تحريرها في الخمسينات (أحمد أمين يلمان) صاحب كتابي « تركيا في أيامي » و « تركيا في الحرب العظمى » وقد عرفت هذه الصحيفة بدفاعها القوي عن الدونمه . وكان عبدي أبكجي الذي اغتيل عام (١٩٧٨ م) يرأس تحرير

---

(١) المصدر نفسه ص ٢ .

(٢) I.Ben - Zevi, The Exiled and the Redeemed, p.145.

بعد هذا العرض الذي ذكرناه أعلاه عن دور اليهود والدونمه في نشاط جمعية جمعية الإتحاد والترقي وحكومة الإنقلاب لا اعتقد أننا يمكن أن نوافق المستشرق اليهودي المعروف برنارد لويس على أنَّ اليهود لم يكن لهم دور يذكر وأنَّ كراسو كان شخصية غير مهمة ومحمد جاود بك كان هو الوحيد من الدونمه الذي وصل تلك الدرجة الرفيعة .

(انظر The Emergence of Modern Turkey, p.208.)

صحيفة « مليت » من الدونمه واسماعيل جم ابكجي صحفي ومؤلف معروف ونائب في مجلس الأمة التركي الحالي وعائلة سماوي من العوائل الدونميه المعروفة وهي تملك الآن صحيفة « حريت » الواسعة الإنتشار وكان قد أسسها « سادات سماوي » ومسؤولها (أرول سماوي) . ويملك (سادات أرول سماوي) مجلة « تمبو » التركية . ولهذه العائلة وقف مشهور في تركيا له نشاطات كثيرة . وفي الستينات كان رئيس فرع القره قش أستاذاً في جامعة اسطنبول . وبجانب ذلك فإنَّ من أشهر من يملكون مصانع النسيج هم من الدونمه ومن أشهر العوائل الثرية المعروفة عائلة ابكجي .

هؤلاء هم بعض الأشخاص من الدونمه إطلعت عليهم من خلال البحث والمراجعة . وفي الحقيقة فإنه من الصعوبة بمكان معرفة الدونمي وإن الكثير من الأتراك إن لم يكن أكثرهم لا يعرفونهم وذلك لإستعمالهم الأسماء الإسلامية .

أما بالنسبة إلى كمال أتاتورك .

فقد وجدت نصين يشيران إلى انتمائه إلى فرقة الدونمه أحدهما جاء في (دائرة المعارف اليهودية) وهذا نصّه :

لقد أكد الكثير من يهود سالونيك أنَّ كمال أتاتورك كان أصله من الدونمه وهذا هو أيضاً رأيُ الإسلاميين المعارضين لكمال أتاتورك ولكن الحكومة تنكر ذلك »[1] .

---

(١) انظر مادة : Doenmeh

أمّا النص الآخر فقد جاء فيه :

« كان محمد جاويد بك وكمال أتاتورك من أعضاء الدونمه المتحمسين والنشيطين وإنَّ بعض الأتراك كانوا يعرفون أنَّ كمال أتاتورك كان منهم فحاولوا استعمال هذا الإنتماء ضده من أجل القضاء عليه سياسياً ولكنهم لم يفلحوا في ذلك . وإنَّ مجموعة من قادة حزب تركيا الفتاة عبدوا الله في الظاهر ولكنهم في الحقيقة كانوا يؤمنون في دخيلة أنفسهم بأنَّ شبتاي صبّي هو نبيهم الحقيقي »[١] .

ويحاول أعضاء الدونمه أن يعطوا صورة للناس بأنَّ فرقتهم قد اندثرت أو أنها لم تبق كما كانت فرقة سريّة معزولة بل أصبحت فرقة منفتحة على غيرها تختلط بالآخرين وتتزاوج معهم وقد جاء على لسان أحد مسؤوليهم الكبار من مدينة إزمير في حديث مع أحد المهتمين بهذه الفرقة فقال :

إنَّ فرقتنا ماتت وليس لها وجود ولقد كان آبائي من الدونمه أما أنا فإني قانع بقراءة القرآن وليس عندي أي شيء من الماضي .

وقد دار نقاش على صفحات الجرائد عام (١٩٢٤ م) بين رجل مسلم إسمه إبراهيم غوفا وشخص دونمي ، وكان الدونمي قد نشر مقالاته في جريدة (وطن) التي ذكرتها قبل قليل أما الرجل المسلم فقد ردّ عليه في جريدة (وقت) . ومما قاله الدونمي : إنَّ

---

(١) J.prinz, The Secret Jews, p.122.

فرقة الدونمه ليست كما يصورها الناس فرقة منغلقة على نفسها بل إنها اندمجت في المجتمع التركي وذابت به . وكان رد إبراهيم غوفا عليه : بأن هذا يخالف الحقيقة فالفرقة ما زالت حية نشطة تعمل كما تعمل أية فرقة أخرى بأسلوب خاص وبطريقة مميزة وبخاصة في الوقت الحاضر . وإنَّ المنتمي لهذه الفرقة ما زال يربى من المهد إلى اللحد بشكل يختلف عن تربية الإنسان المسلم كثيراً . وهذه حقيقة واضحة لكل من يدرس العقيدة الشبتائية بصورة عامة [1] .

فالدونمه لهم عقيدتهم الخاصة بهم وصلواتهم وأماكن عبادتهم وتقاليدهم القديمة ومنها عدم تزاوجهم مع غيرهم .

وقد ذكر الدونمي بأنهم قد أصبحوا فرقة غير منتمية إلى أي دين بسبب ظروف وعوامل خارجية فرضت على الفرقة أن تكون كذلك .

ولكن الكاتب التركي ردّ عليه بأنَّ هذا غير صحيح ولا يتفق مع الواقع ومع الوصايا التي شرعها للفرقة شبتاي صُبّي فهو يقول في إحدى هذه الوصايا :

« لا تختلطوا مع الآخرين وتزوجوا فيما بينكم وخذوا من عادات الآخرين تلك التي يراها الآخرون فقط من أجل أن تعموا عيون من يرونكم » . وهذه الوصايا لم تفرض على الدونمه بسبب الضغوط الخارجية .

---

(١) I.Ben - Zevi, p.149.

ثم ذكر الدونمي بأن الزواج فيما بينهم إنما هو إرث صار لهم من الأجيال الماضية وكان لطريقة الزواج السائدة في الدولة العثمانية دور في جعله مقتضراً على أعضاء الفرقة . ثم ذكر أيضاً بأنَّ التزاوج فيما بينهم كان له نتيجة إيجابية وهو التقليل من نسبة الجرائم بين أعضاء الدونمه حيث أنَّ النسبة بينهم هي أقل مما عليه في أيّة أقلية أخرى . ومع ذلك فإنَّ الوضع الآن يختلف .

ورد عليه الكاتب المسلم بأنَّ عدم الزواج من غيرهم إنما هو وصية التزموا بها وهي جزء من عقيدتهم والتبريرات التي ذكرت غير صحيحة وهذه الوصية ما زالت مطبقة بشكل صارم . ثم ذكر الكاتب المسلم دليلاً آخر على تربية الدونمه لأبنائهم تربية طبقاً لعقيدتهم وتقاليدهم . فقد قال هذا الكاتب أنَّه عندما كان يدرس في مدرسة خاصة للبنات في حي مكري كوي في اسطنبول وهو حي خاص بالدونمه شاهد عند إحدى البنات كتيباً صغيراً جداً فنظر فيه فوجده كتاب صلوات وكانت إحدى هذه الصلوات تبدأ باسم شبتاي وبروخيا . وهذا يعني أنَّ الأطفال يدرسون هذه العقائد وهم في الثامنة أو السابعة من أعمارهم .

ويقول الدونمي بأنَّ فرقة الدونمه بفروعها الثلاثة التي عاشت في سالونيك لأجيال طويلة لا تعتبر فرقة باطنية سرية بل إنها عاشت طيلة هذه الفترة وهي ملتزمة بالسلوك الإسلامي ومع ذلك فقد عانت من التمييز والتفرقة .

وقد رد الكاتب المسلم على ذلك بأن السلوك الإسلامي هو

سلوك في الظاهر فقط أما في حقيقة الأمر فهم ليسوا من الإسلام في شيء .

ثم أخذ الدونمي يعدد محاسن الدونمه كالعدالة الإجتماعية وضبط النفس والتكاتف فيما بينهم ومساهمتهم في المؤسسات الخيرية .

وكان جواب الكاتب المسلم على ذلك بأنَّ هذه الأعمال لا تقتصر على الدونمه فالجاليات الأخرى كاليهود والأرمن وغيرهما أيضاً لهم ما للدونمه[١] .

ويجب أن أذكر هنا بأنَّ هذه المؤسسات الخيرية التي ذكرها الدونمي تقتصر فائدتها في الغالب على أبناء الدونمة .

وفي السنين الأخيرة كانت هناك لقاءات خاصة بين اليهود والدونمه من أجل الإطلاع على أحوالهم وكان منها لقاء تمّ في عام (١٩٦٠ م) بين بعض اليهود ورئيس فرغ القره قش . وكانت هناك محاولات من قبل يهود رسميين من أجل إقناع الدونمه بالهجرة إلى فلسطين ولكن تلك المحاولات باءت بالفيشل .

هذا آخر ما أردنا الحديث عنه في هذه الطبعة نرجو أن يفيد منه القارىء وينتفع به والله ولي التوفيق .

---

(١) المصدر نفسه. I.Ben - Zevi, p.313.



المتنبىء ناثـان



SABBATHAI ZEBI

شبتاي صبي في عام ١٩٦٦ م

SECRET. 298

(Private and Confidential.)

Dear Charles,

Constantinople, May 29, 1910.

GORST'S telegram of the 23rd April and your telegram of the 25th April about the rumoured appointment of Mohamed Farid as delegate in Egypt of the Constantinople Freemasons, "said to be intimately connected with the Committee of Union and Progress," prompts me to write to you at some length on the strain of continental Freemasonry running through the Young Turk movement. I do so privately and confidentially, as this new Freemasonry in Turkey, unlike that of England and America, is in great part secret and political, and information on the subject is only obtainable in strict confidence, while those who betray its political secrets seem to stand in fear of the hand of the Mafia. Some days ago a local Mason who divulged the signs of the craft was actually threatened with being sent before the court-martial, sitting in virtue of our state of siege.

As you are aware, the Young Turkey movement in Paris was quite separate from and in great part in ignorance of the inner workings of that in Salonica. The latter town has a population of about 140,000, of whom 80,000 are Spanish Jews, and 20,000 of the sect of Sabetai Levi or Crypto-Jews, who externally profess Islamism. Many of the former have in the past acquired Italian nationality and are Freemasons affiliated to Italian lodges. Nathan, the Jewish Lord Mayor of Rome, is high up in Masonry, and the Jewish Premiers Luzzati and Sonnino, and other Jewish senators and deputies, are also, it appears, Masons. They claim to have been founded from and to follow the ritual of the "Ancient Scottish"

جزء من الصفحة الأولى من الوثيقة البريطانية السرية .

المصادر والمراجع

١ ـ العربيـة

١ ـ الشهرستاني ، محمد بن عبد الكـريم ، الملل والنحل د.ث.د.م .

٢ ـ الأجنبية

1 - Baron, S. W. Social and Religious History of the Jews, New york, 1952.

2 - Ben - Zevi, I., The Exiled and the Redeemed, London 1958.

3 - Buchanan, G.W. Revelation and Redemption, North Carolina.1978.

4 - Dubnov, S.History of the Jews, New Jersey, 1971.

5 - Encyclopeadia of Islam. 2nd Edition.

6 - Encyclopeadia Judiaca.

7 - Graetz, H., Popular History of the Jews, New York.1919.

8 - Greenstone J.H. The Messia Idea in Jewish History, Philadelphia. 1943.

9 - Josephus, The Jewish War, London, 1970.

10 - Kùçùk. A.,Donmeler Ve Donmelik Tarihi, Istanbul, N.d.

11 - Lewis, B. The Emergence of Modern Turkey, London 1961.

12 - Lukach, H.C.The City of Dancing Dervishes, London, 1914.

13 - Patai, R.The Messianic Texts, Detroit 1979.

14 - Prinz, J. The Secret Jews, New York, 1977.

15 - Ramsaur, E,E., The Young Turks, Princeton, 1959.

16 - Schindler, S., Messianic Expectation and Modern Judiasm, Boston, 1886.

17 - Scholem, G. The Messianic Idea in Judiasm, London, 1971.

18 - Sabbatai Sevi, London, 1913.

19 - Seton - Watson, R.W. The Rise of Nationality in Bulqan, London, 1917.

20 - Silver, A.H., A History of Messianic Sepeculation in Israel. U.S.A. 1959.

٣ ـ الدوريات والمجلات العربية

١ ـ مجلة المشرق (بيروت/ آب ١٩١١ م) .

٤ ـ الوثائق

١ ـ وثيقة بريطانية في الـ Public Record Office (لندن) تحت رقم .FO 371 / 1010

المحتويات

هذا الكتاب

فرقة الدونمه من الفرق الدينية الجديرة بالبحث والدراسة.ومما يجعل دراستها ذات أهمية خاصة أنها فرقة باطنية أنشأها قبل ثلاثة قرون حاخام يهودي اسمه شبتاي صبي ، الذي ادعى بأنه المسيح المخلص ثم تظاهر بالإسلام فيما بعد . وتبعه كثير من المؤمنين به على ذلك ، فأصبحوا يظهرون الإسلام ويبطنون عقيدة غيره ، وظلّوا على هذه الحال إلى وقتنا الحاضر .

وفي هذا القرن كان لهذه الفرقة دور بارز في تاريخ تركيا الحديث ذكرنا شيئاً عنه في هذا الكتاب . ومع أنها تعيش في عالمنا الإسلامي إلاّ أن القلّة من الناس قد سمعوا بها ناهيك عن معرفة معتقداتها وتقاليدها . لذلك رأيت من الضروري تقديم دراسة موجزة عن نشأة هذه الفرقة وتاريخها ومؤسسها تكون فاتحة لدراسات أخرى أوسع وأشمل يقوم بها الباحثون والمختصون في هذا الموضوع .

من مقدمة المؤلف